

الشعر والشعراء

فى بلاط عبد العزيز بن مروان

دكتور

محمد أبو المجد على

كلية الدراسات العربية والإسلامية

جامعة القاهرة - فرع الفيوم

الناشر

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة



الشعر والشعراء
فى بلاط عبد العزيز بن مروان

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

الجمع التصويرى والإخراج الفنى

دار المروة الفيوم - حى الجامعة ت : ٣٢٧٧٠١

مقدمة :

يظل الأدب العربى فى مصر منذ الفتح الإسلامى حتى بداية العصر الحديث - على طول هذه الحقبة ، بل الأحقاب - ينتظر - كما يقول الدكتور أحمد سيد محمد - «المزيد من الجهود، فى البحث عن المفقود ، وتحقيق المخطوط ، ودراسة المطبوع ، ويعمق مفهوم الشخصية المصرية ووضعها فى إطارها من خلال تفاعلها مع الأدب العربى » (١) .

وهو ما تسعى هذه الدراسة - وقد قصرت جهودها على مدة زمنية قصيرة ، فى عصر ظلت فكرة سائدة قديمة ، تفترض ضعف الأدب فيه ، تحجب عن أعين الدارسين الرؤية الصحيحة ، وتقف كالطود بينهم وبين الوصول إلى نتائج علمية دقيقة ، يثبتها الواقع ولا تقوم على مجرد الافتراض (٢) - نحو تحقيقه ، بجهود متواضعة - لكنها على تواضعها تلتزم المنهج العلمى ، ولا تخرج فيما يظن صاحبها عن إطاره - تضعها إلى جانب جهود دارسين سابقين ، كان لهم فضل الريادة والتوجيه ؛ كالدكتور محمد كامل حسين فى كتابه «أدبنا فى عصر الولاة » (٣) ، وقد جاء فى مقدمته : « . . . ولا أدرى سبب تقصير الباحثين عن دراسة الحياة الفكرية والأدبية بمصر الإسلامية سوى وهمهم أن مصر الإسلامية لم تنتج أدباً يضارع أدب الشام والعراق ، وما ضر هؤلاء لو بحثوا عن الأدب المصرى وأثبتوا ما وهموه ، أما انزواؤهم عن البحث لفكرة اختمرت فى أذهانهم فهو النقص بعينه »(٤) . والدكتور حسين نصار الذى حمل بعنف - فى كتابه « مصر العربية» - على الدعوى الجائرة التى تحط - دونما أساس - من قيمة الأدب العربى فى مصر إبان عصر الولاة ، وجاء فى مقدمة هذا الكتاب ما نصه : « أما الأدب العربى فى مصر فى عصورها الأولى فقد أثارت دراسته - ولازالت تثير - جدلاً عظيماً ، ولازال الكاتبون يذهبون إلى أنه أدب متخلف . . . ولست أدعى أن كتابى هذا يغير هذه الأفكار تغييراً تاماً ، و لكنه يعطينا مجموعتين من العرب لم يذكرهما أحد من الدارسين من قبل : قبيلة عربية كبيرة ، وأسرة عربية صغيرة ، نزلت كل منهما بمصر ، وأقامت بها ، و واصلت إنتاج تراثها الفنى الذى كانت تنتجه فى شبه الجزيرة . ويبن لنا فى جلاء أن عرب مصر شاركوا إخوانهم عرب الأقاليم الأخرى فى جهودهم الفنية ، ولكن كثيراً

---

١ - الشخصية المصرية فى الأدبين الفاطمى والأيوبى - د . أحمد سيد محمد - ص ٥ .

٢ - انظر على سبيل المثال : الأدب العربى فى مصر من الفتح الإسلامى إلى الفاطميين - د . عبد الرزاق حميدة - ص جـ : د وقد جاء فيه : « وكان أدبها» - يعنى مصر - «قبل الطولونيين ضعيفاً . . . وإذا قارناه بأدب الشرق والغرب تخلف وراءهما كثيراً » . والأدب العربى فى مصر من الفتح الإسلامى إلى نهاية العصر الأيوبى - د . محمود مصطفى - ص ٥٥ .

٣ - وهو الكتاب نفسه الذى كان قد صدر قبل تحت عنوان « فى الأدب المصرى الإسلامى من الفتح الإسلامى إلى دخول الفاطميين» .

٤ - ويرى أن ضياع أكثر هذا الشعر كان وراء طمس الصورة الحقيقية له . يقول (ص١١٦) : « وجد الشعر العربى بمصر كما وجد فى غيرها من الولايات الإسلامية ، ولكن الذى وصلنا منه قدر يسير ، لا يكفى لأن نعرف منه خصائص الشعر المصرى ، ولا أن نفرق بينه وبين الشعر فى الأقطار الأخرى » .

من الجهود المشرقية احتفظ بها ، على حين لم يحتفظ بالجهود المصرية أو أغلبها » . وكشفت دراسته – فيما كشفت – عن نصوص جديدة لشعراء مستوطنين وغير مستوطنين ، واهتدت – من خلال تأملها للعصر وتحليلها للنصوص التى نبعت منه وفيها نصوص لشعراء قد أميط اللثام عن مصريتهم للمرة الأولى – إلى نتائج طيبة ، ساعدت على زعزعة الفكرة القديمة السائدة ، وفتحت – من ثم – طريقاً جديداً للدارسين ، سار فيه الدكتور إبراهيم الدسوقى جاد الرب فى دراسته « شعر البيئة المصرية حتى سنة ١٣٢هـ » ؛ موثقاً لما وقعت عليه يداه من النصوص – وبعضها جديد – بالرجوع إلى أقدم مصادرها ، ومضيفاً – حسب زعمه – مما لم يسبق دراسته « حوالى نصف المعروف المتدارس فى المراجع من قبل وثلث المجموع كله»[٥]، ومحللاً – دونما تقيد بوجهات نظر سابقة أو شروح لغوية فى المصادر والمراجع – ومغايراً لبعض النتائج التى توصل إليها – كما أبانت خاتمته – الدارسون السابقون .

وانطلقت – أزعم– من هذا المنطلق الذى عَبَّدَهُ ثلاثتهم – مهتدياً بما وضعه كل منهم – والطريق لايزال يكتنفه برغم جهودهم الضباب والغموض – من الصوى والأعلام . ورأيت أن أحدد البحث – مظنة التفلت من إسار السطحية والتعميم – بالمدة التى شهدت – من الناحية الزمنية – ولاية عبد العزيز بن مروان فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى ؛ وهى شريحة نشطة – أفترض – على الرغم من قصرها ، ولم يلتفت إليها – إلا التفاتاً عابراً – الدارسون ، ولم تأخذ فيما أرى ما هو حق لها – وقد قصرتها على البلاط – من العناية والاهتمام ؛ فقد كان بلاط عبد العزيز – وهو المؤهل بحكم وصية أبيه للخلافة بعد عبد الملك – يضارع بلاط بشر أخيه – على أصالة الشعر فيه ورسوخه وقدمه – بالعراق ، وكان بينهما ما يشبه المنافسة فى الخفاء ، بل كان يقترب – وهو الناشئ الجديد ، حديث العهد لايزال – من بلاط عبد الملك نفسه فى دمشق . وكان عبد العزيز عالماً بالشعر راوية له ، شديد الاهتمام بالشعراء ، يحيط نفسه بكوكبة كبيرة منهم – ما بين وافد ومقيم – ويستقدم – فى سبيل تهيئة المناخ المناسب – للولاية ، والخلافة فيما بعد – بعضهم ، ويجزل العطاء ، فيفد عليه جميل وكثير والأحوص وابن قيس الرقيات – وهم من كبار الشعراء فى عصرهم – وغيرهم ، ويفتك رقبة نصيب من الرق ويصطنعه لنفسه ، ويشترط على عبد الله بن الحجاج الثعلبى عدم الخروج – رجاء بقائه عنده – إلا بإذنه ، ثم لا يأذن له ، ويؤاكل أيمن بن خريم – على ما به من البرص– و يهب لجميل داراً بغية الإقامة الدائمة لديه ، ويتغاضى عن تشيع كثير وولاء ابن قيس للزبيريين ، ويتسع صدره لهما ولأمثالهما ، ويُخرج معه – عند خروجه إلى أقاليم مصر – بعضهم ، ويصطحبهم فى حله وترحاله ، ويعج بلاطه بالعلماء والفقهاء والرواة ، وتدار فيه مجالس – بعد الإنشاد وأثناءه – للنقد وتداول الآراء .

---

٥ – شعر البيئة المصرية حتى سنة ١٣٢ هـ – ص ٨ .

ويشارك فى هذا النشـاط - مع الوافدين - مجمـوعة أخرى من شعـراء البيئة نفـسها ، وصلة مصر بالعـروبة والعرب لم تبدأ - كما قد يُظَنُّ - مع الإسـلام ، ولم يكن أول عهدهم بهم مع ما يسمى فى التاريخ بحـركة الفتح ؛ فهناك قبائل عربية استـوطنت مصر منذ القدم ، ومازالت مصر - كمـا يقول ياقوت فى معجم البلدان(٦) - « منازل العرب من قـضاعة وبلى واليمن » . وكـان لبنى عذرة - وهم من قضـاعة - صلة قـديمة بها ؛ بحكم المتاخـمة ، من ناحيـة ، وقد نزلهـا - على سبـيل الإقامـة - من ناحيـة أخرى بعض بطونهـا . واستـمرت الهجرات بعد الفتح ، واستقر الفاتحون أنفسهم - أو كثير منهم - مع من جاء معهم من الموالى والنساء والأبناء ، وازداد الاندماج - حتى بلغ درجة الانصهار - مع الزمان ؛ بانتشار العربية، واعتناق الإسلام .

وكان من الطبيعى أن يتصدر شعر المدح - ومعـه الرثاء - قائمة الموضوعات ، ثم يليهما الغزل والنسيب ، والغـربة والحنين ، والشكوى والعتاب ، والندم والاعتذار والهـجاء والفخر والحكمة والوصف . وكان من الطبيـعى أيضاً أن تلقى السياسة بظلالها ، وأن يظهـر أثر للبيئة نفسهـا - مما قد يعد بذوراً للشخصـية المصرية فى الأدب العربى - فـسعى البحث من ثم إلى تلمس هذا وذاك .

وقد رأيت - فى ضوء ما تجمع لدىّ من مادة - أن أقسم البحث إلى ثلاثة أجزاء ؛ الجزء الأول لعبد العـزيز ، درست خلاله - دونما إسهاب - تاريخـه وجوانب شخصيـته والبلاط ، لأقف من خلال ذلك على حقيقة الدور الذى قام بـه فى تنشيط الحركة الأدبية بمصر ، وهو ما افترضـته بدايةً ، واستحال - بعـد الدرس - إلى نتيجة أدت إليـها مجموعـة من المقدمات . والثانى للشعراء ؛ وافـديهم ومستوطنيهم على السواء ، ركزت فـيه على الدوافع الخاصة بكل شاعر للاتصـال بهذا البلاط ، والمدة التى قضاها بمصر - إن كـان وافداً - و الزمن الذى وفد فيه ، وما أثمره هذا الاتصال أو ترتب عليه أو نتج عنه . والثالث للشعر ، وقفت خلاله على مجموعـة من القضايا كتداخل النسبـة والشك والتوثيق وتعرض بعضه للفـقد ، والموضوعات كالمدح والرثاء وغيرهما ، والظلال السياسية ، وما للبيئة المصرية فيه من الآثار .

متـبعاً فى هذا كله مـنهجاً مـتكاملاً ، هو - فى الحق - محـصلة لمجمـوعة من المناهج المختلفـة ؛ أوضحهـا المنهج التاريخى ، وقـد أعاننى فى فهم الظروف والمـلابسات المؤثرة فى النص الأدبى - وخاصة مـا يتعلق بالبلاط وتتبع أخبار الشـعراء - والمنهج الفنى فى تحليل هذه النصوص وتذوقـها والإحـساس بما فيـها من جمـال ، والمنهج النفسى الذى لا يـغفل الدافع الفردى والفروق الشخصية بين الشعراء .

---

٦ - جـ٥ ص ١٤٢ .

الشعر والشعراء
فى بلاط عبد العزيز بن مروان (*)

١

عبد العزيز بن مروان
(التاريخ - الشخصية - البلاط)

١ - يضن علينا التاريخ فيما يقدمه لنا من أخبار تتناول حياة عبد العزيز وسيرته قبل توليه إمارة مصر ؛ فما هى إلا مجموعة قليلة - بل نادرة - من الآثار المتناثرة التى لا يمكن فى ضوئها بحال تكوين صورة واضحة له - فى مراحله الأولى - محددة المعالم دقيقة القسمات ، لكنها قد تفيد - على أية حال - مع المجموعة الأخرى المتصلة به بعد توليه الإمارة - وهى غير قليلة - فى تفهم شخصيته ، ومعرفة بعض جوانبها ،والوقوف على الدور الحقيقى الذى قام به فى تنشيط - وهو ما يفترضه البحث بدايةً - الحركة الأدبية فى مصر إبان ولايته الطويلة .

ينتمى عبد العزيز إلى الفرع المروانى - الذى آلت إليه الخلافة بعد السفيانيين ، وظلت فيهم حتى نهاية الحكم الأموى - فـ « هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس » [١] . وأمه - وكان كثير الفخر شديد الاعتداد بها - من كلب ، وقد تردد ذكرها على ألسنة الشعراء فى مدائحهم له [٢] - منسوباً إليها كما ينسب إلى مروان -

---

* - نوقش هذا البحث فى المؤتمر العلمى الثانى الذى عقد بكلية الدراسات العربية والإسلامية - جامعة القاهرة فرع الفيوم - يومى ٨ ، ٩ / ١٠ / ١٩٩٧م تحت عنوان : « دور مصر فى خدمة العلوم العربية والإسلامية» .

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد - ت . د . حمزة النشرتى وعبد الحفيظ فرغلى وعبد الحميد مصطفى (المكتبة القيمة - القاهرة سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م) م٥ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

٢ - ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات - ت . د . محمد يوسف نجم (دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر - بيروت سنة ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م) ص ١٤ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٩ . شعر الأحوص الأنصارى - جمعه وحققه عادل سليمان جمال (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة سنة ١٣٩٥هـ ١٩٧٠م) ص ٩٧ ، ١٤٧ ، ١٩٩ . ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٦١ ، ٦٢ ، ١٨٢ ، ١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢٤٣ ، ٣٠٧ . شعراء أمويون - د . نورى حمودى القيسى - ط ١ (مكتبة النهضة العربية - بيروت سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م) جـ١ ص ٣١٠ . ولاة مصر لمحمد بن يوسف الكندى - ت . د . حسين نصار (دار صادر - بيروت - بدون تاريخ) ص ٧٣ . عيون الأخبار لابن قتيبة (دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٩٦م) جـ٣ ص ١٤٦ .

وهي « ليلى بنت زبان بن الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن الحرث بن حصين بن ضمضم بن عدى بن جناب»[٣] . وفي «الأغاني» أنه كان يحض الشعراء على ذكرها ويقول : « لا أعطي شاعراً شيئاً حتى يذكرها في مدحي » لشرفها ، فكان الشعراء يذكرونها باسمها في أشعارهم[٤] . وقد سمى ابنه « الأصبغ » ، وبه كان يكنى [٥] ، والأصبغ اسم جدها - على الأصح - في أكثر الروايات .

وتشير الأخبار - القليلة النادرة المتعلقة بمراحله الأولى كما ذكرت - إلى أنه جاء إلى مصر قبل أن يصبح والياً ، وتمنى بها أمنيات ؛ تمنى - وكان ذلك تحديداً في ولاية مسلمة بن مخلد - أن تصير إليه ، وأن يجمع بين امرأتي مسلمة ، ويحجبه حاجبه قيس بن كليب ، وقد تحقق له - كما يقول الخبر - ما أراد ؛ « فتوفى مسلمة ، فقدم مصر فوليها ، فحجبه قيس ، وتزوج امرأتي مسلمة » [٦] . وعلى ما لمثل هذا الخبر من نظائر ، مع ولاة آخرين كعمرو بن العاص رضي الله عنه ، إلا أننا لا نستبعد وجود أثر للخيال الشعبي في اختلاق مثل هذه الأخبار .

٢ - ثمة خبران آخران على جانب من الأهمية ؛ يشير أحدهما إلى مساندة عبد العزيز لأبيه في الوصول إلى الخلافة وتولى مقاليد الحكم ، ويشير الآخر إلى الدور الذي قام به في انتزاع مصر من أيدي الزبيريين ومد سلطة الأمويين إليها بعد استردادهم لما كان قد ضاع منهم من بلاد الشام ؛ فبعد موت معاوية بن يزيد بايع أهل الشام - كما بايعت العراق والحجاز ومصر - عبد الله بن الزبير ، ما عدا أهل الأردن ، « فلما رأى ذلك رجال بني أمية وناس من أشراف أهل الشام ووجوههم ، منهم روح بن زنباع وغيره ، قال بعضهم لبعض :إن الملك كان فينا أهل الشام فانتقل عنا إلى الحجز ، لا نرضى بذلك ؛ هل لكم أن تأخذوا رجلاً منا فينظر في هذا الأمر ؟ فقال [روح بن زنباع] : استخيروا الله . قال : فرأى القوم أنه غلام حدث السن ، فخرجوا من عنده وقالوا : هذا حدث . فأتوا عمرو بن سعيد بن العاص ، فقالوا له : ارفع رأسك لهذا الأمر . فرأوه حدثاً ، فجاءوا إلى خالد بن يزيد بن معاوية ،

---

٣ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص ٢٨٦ . ونسب قريش لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيري - ت. ليفي بروفنسال - ط٣ (دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٢م) ص ١٦٠ . وفيه « الأصغر » بدلاً من «الأصبغ» .

٤ - الأغاني لأبي فرج الأصفهاني (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٤٠ .

٥ - الطبقات الكبرى ج٥ ص ٢٨٦ .

٦ - ولاة مصر ص ٧٦ .

فقالوا له : ارفع رأسك لهـذا الأمر . فرأوه حدثاً حريصاً على هذا الأمـر ؛ فلما خرجوا من عنده قالوا : هذا حـدث . فأتوا مروان بـن الحكم ، فإذا عنده مصـباح ، وإذا هم يسمـعون صوتـه بالقرآن ، فـاستـأذنوا ودخلوا عليه ، فـقالوا : يا أبا عـبد الملك ، ارفع رأسك لـهذا الأمر . فقال : استخيروا الله ، واسألوا أن يختـار لأمة محمد ﷺ خيرها وأعدلها . فقال له روح بن زنباع : إن معى أربعمـائة من جزام ، فأنا آمرهم أن يتقدموا فى المسـجد غداً ، ومر أنت ابنك عـبد العـزيز أن يخطب الناس ويدعـوهم إليـه ، فإذا فـعل ذلك تنادوا من جـانب المسجـد: صدقت ، صدقـت ! فيظن الناس أن أمرهم واحـد . فلما اجتـمع الناس قام عـبد العزيز فـحمد الله وأثنى عليـه ، ثم قال : ما أحـد أولى بهذا الأمر من مـروان كبيـر قريش وسيدها ، والذى نفسى بيده لقد شابت ذراعاه من الكبر . فقال الجذاميون : صدقت صدقت! فقال خالد بن يزيد : أمر دبر بليل » [٧] .

وكان عبد العزيـز - كما يبرز هذا الخبر - خطيباً ، والخطابة - كـما هو معلوم - وسيلة من الوسائل الهامـة التى لا غنى للساسة عنها منذ أقدم الـعصور ، وقد اجتمع له مـعها تلك القدرة على الإقناع ، وحسم الخلاف فى مواطن الفرقة والاختلاف .

وحين اتجهت عينا مروان إلى مصر - بعد استرداده للشـام - جهز جيشين كبيرين ؛ جعل أحدهما تحت قـيادته ، وولى قيادة الجيش الثـانى لعبد العزيز ، ووجـهه إلى « أيلة » ، وكان يرجو أن ينـجح ابنه - على ما يبـدو - فى دخول مصـر من تلك الناحـية ، بينما يـشغل هو وجيشه ابن جـحدم من الناحية التى جاء منها ، ويشتت قـوى الزبيريين بين الناحيتين ، ورأى ابن جحدم- بعد أن أشير عليه - أن يحفـر خندقاً « يخندق به على الفسطاط ، فأمر بحفره ، فحفر فى شهـر واحد » . وبعث بمراكب فى البحر « ليخالف إلى عيـال أهل الشام ، وعليها الأكدر بن حمـام اللخمى ، وقطع بعثاً فى البـر ، استعمل عليهم السـائب بن هشام بن كنانة العامرى ، وبعـث بجيش آخر عليهم زهيـر بن قيس البلوى إلى أيلة ، ليمنع عبـد العزيز من المسير إليها » [٨] .

فأما المراكب فقد هبت عليها عاصفة فغرقت بعضها ، ونجا بعضها ، وعاد قائدها الأكدر - فيـمن قدر له النجاة - إلى الفـسطاط ، وأما جيش السـائب بن هشام الذى خرج لمواجـهة جيش مروان فإن روح بن زنبـاع - وكان قدخرج مع مروان فى جمـاعة من أشراف أهل الشام كخالد بن يزيد بن معـاوية وعمرو بن سعيد وعبد الرحمن بـن الحكم وزفر بن الحرث وحسان

---

٧ - العقد الفـريد لابن عبد ربه - ت . محـمد سعيد العـريان (دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ) جـ٥ ص ١٣٤ .

٨ - ولاة مصر ص ٦٥ .

ابن بحدل ومالك بن هبيرة السكونى - قد « أخبر مروان أن السائب له ابن مسترضع بفلسطين، فأخذه مروان ، فلما التقوا أبرز إليه الصبى فقال : أتعرف هذا يا سائب ؟ قال : هذا ابنى . قال : نعم ، فوالله لئن لم ترجع عودك على بدئك لأرمينك برأسه . فرجع السائب بجيشه ذلك ولم يقاتل » (٩) .

وأما الجيش الثالث - وهو جيش زهير بن قيس - فقد التقى بعبد العزيز فى « بصاق» ، وهى سطح عقبة أيلة ، ووقع القتال بينهما ، وانتصر عبد العزيز - مما قد يظهر من بعض الوجوه كفاءته الحربية ومقدرته على قيادة الجيوش - وانهزم زهير ، وتم لمروان ما أراد - بعد أن زحف جيشه نحو عين شمس وقاتل ابن جحدم فى تلك الأيام التى تعرف بـ « أيام الخندق والتراويح » ، ثم صالح ابن جحدم على أن لا يكشف على أمر جرى على يديه ، ويدفع إليه مالاً وكسوة (١٠) - وعادت مصر مرة أخرى إلى الأمويين - كما عادت الشام - وكان ذلك فى غرة جمادى الأولى سنة خمس وستين ، وأقام مروان بها مدة (١١) ، ثم ولى أمرها - أو جعل كما يقول الخبر صلاتها وخراجها - لابنه عبد العزيز .

٣ - تولى عبد العزيز إمرة مصر فى هلال رجب سنة خمس وستين ، ثم توفى مروان فى السنة نفسها ، وبويع عبد الملك بن مروان خليفة مكان أبيه ، فأقر عبد العزيز على ولايته. وكان من الطبيعى أن يقف عبد العزيز إلى جانب أخيه فى صراعه - على الخلافة - ضد خصومه ، وخاصة الزبيريين ؛ فنراه سنة اثنتين وسبعين يرسل بعثاً - عن طريق البحر - إلى مكة لقتال ابن الزبير تحت إمرة مالك بن شراحيل الخولانى ، وكان قوام هذا البعث ثلاثة آلاف رجل ، وفيهم عبد الرحمن بن يُحَنَّس ، مولى بنى أبذى بن عدى من تجيب ، وعلى يد هذا الرجل قُتل ابن الزبير فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين (١٢) .

وكان لعبد العزيز - إلى جانب معاضدة أخيه - دور فى حركة الفتح بشمال إفريقية ، وكانت مصر على عهده قاعدة الانطلاق الرئيسة فى تلك الحركة ؛ فنراه يكتب إلى زهير بن قيس « وزهير يومئذ ببرقة يأمره بغزو إفريقية » (١٣) . فيخرج زهير فى جمع كثير ، ويلتقى

---

٩ - المصدر نفسه والصحيفة .

١٠ - المصدر نفسه ص ٦٧ . وفى خطط المقريزى (جـ٢ ص ٤٥٨) أنه دفع إليه عشرة آلاف دينار وثلثمائة ثوب بقطرية ومئة ريطة وعشرة أفراس وعشرين بغلاً وخمسين بعيراً .

١١ - وكان مقامه بها - من يوم دخلها إلى خروجه عنها - شهرين . ولاة مصر ص ٧٠ .

١٢ - المصدر نفسه ص ٧٢ .

١٣ - فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم - ت . د . على محمد عمر (مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) ص ٢٢٨ .

بكُسَيْلة بن لمـزم عند « قونية » ، وينتـصر زهير فى تلك الموقـعة ويقـتل كسيلة ومن مـعه ثم ينصرف قافلاً .

ويغير الروم على أنطابلس ، فيهرب إبراهيم بن النصرانى - وكان على خراجها - ويترك أهل أنطابلس وأهل ذمتـها فى أيدى الروم ، ويرأسها الروم أربعين لـيلة « حتى أسرعوا فـيها الفسـاد ، وبلغ ذلك عبد العـزيز بن مروان ، فأرسل إلى زهيـر بن قيس وكان قـد خرج مع حسان » يعنى فى طريقة إلى الشام « فلما بلغ مصر أقـام بها ، فأمره عبد العزيز بالنهوض إلى الروم . . . فـخرج حـتى إذا كـان بدَرْنَة من طَبَـرْقة من أرض أنطـابلس لقى الروم وهو فى سبعين رجلاً » [١٤] . وكان من الطبـيعى أن تدور عليـه الدائرة وهو في قلة من الجند - ولم ينتظر حتى يلحق به بقية جـيشه - وفيهم من كانوا يخالفون عن أمـره ويثيرون الشغب عليه . وكان بموضع يقال له « أمْلَس » من برية أنطابلس « رجل من مذحج يقال له عطية بن يربوع ، خرج بابن له هارباً من الوباء ، وكان فى تلك البرية جمـاعة من المسلمين ، فاستغاثهم وركب فيـمن حوله من الناس ، فاجـتمع إليه سـبعمـائة رجل ، فزحف بهم إلى الروم ، فـقاتلوهـم فهزموهـم ، واعـتصموا بسفنهم ، وهرب من بقى منهم . وبلغ ذلك عـبد العزيز بن مروان ، فبعث إليها غلاماً يقال له تليد ، ووجه معه ناساً من أشراف أهل مصر فضبطها » [١٥] .

ووجه عبد العزيز موسى بن نصير إلى المغرب ، فـ « افتتح عامة المغرب ، وواتر فتوحه » وأرسل بغنائمه إلى عـبد العزيز ، فأنهـاها عبد العـزيز إلى عبد الملك « فسكن ذلك من عـبد الملك بعض ما كان يـجد على موسى » [١٦] . وكان عبـد الملك حانقاً - لأسبـاب سابقة - عليه .

ونراه - أثناء ذلك كله - لا يغفل عن إجـراء مجموعـة من الإصلاحات بمصر ؛ فـيضع مقياساً للنيل [١٧] ، ويعيد بناء المسجـد الجامع ويتوسع فيه [١٨] ، ويتخذ مصحـفاً جامعاً ، يأمر بكتابته ومراجـعته ويجعل جائزة لكل من يجد خطأ - أو ما يشـبه الخطأ - فيه ؛ « وكان سبب المصحف . . . أن الحجاج بن يوسف كتب مـصاحف وبعث بها إلى الأمصار ، ووجه بمصحف إلى مصـر ، فغضب عبد العزيز بن مـروان من ذلك ، وقال : يبعث إلى جند أنا به بمصحف ؟ ! فأمر فكتب له هذا المصحف الذى فى المسجد الجامع اليوم ، فلما فرغ منه قال :

١٤ - المصدر نفسه ص ٢٣٠ .

١٥ - المصدر نفسه ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

١٦ - المصدر نفسه ص ٢٣١ .

١٧ - المصدر نفسه ص ٣٦ .

١٨ - المصدر نفسه ص ١٥٨ . وولاة مصر ص ٧٣ .

من وجد فيه حرف خطأ فله رأس أحمر وثلاثون ديناراً . فتداوله القراء ، فأتى رجل من أهل الحمراء ، فنظر فيه ثم جاء إلى عبد العزيز فقال : قد وجدتُ في المصحف حرف خطأ . قال: مصحفى ! قال : نعم . فنظروا فإذا فيه ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ فإذا هى مكتوبة نجعة ، قد قدمت الجيم قبل العين ، فأمر بالمصحف فأصلح ما كان فيه ، ثم أمر له بثلاثين ديناراً ورأس أحمر » (١٩) .

وأنشأ مدينة حلوان « وجعل بها الحرس والأعوان والشرط » ، وبنى بها « الدور والمساجد وغيرها أحسن عمارة وأحكمها ، وغرس كرمها ونخلها » (٢٠) . فكانت حلوان تضارع فى جمالها وبهائها - على حداثة إنشائها - دمشق ، فكان عبد العزيز كثير الاعتناء بها ، حتى لقد ذهب بعض الباحثين (٢١) إلى القول - ولعله قد بالغ فيه - بأنه كان ينوى نقل مقر الخلافة إليها حين تصير إليه مقاليد الحكم - حسب وصية مروان - بعد أخيه .

وبنى الدار المذهبة بالفسطاط (٢٢) ، والقيساريات ؛ ومنها « قيساريات العسل ، وقيسارية الحبال ، وقيسارية الكباش . . . والقيسارية التى يباع بها البز ، وهى التى تعرف بقيسارية عبد العزيز » (٢٣) .

وهو أول من « عَرَّفَ » بمصر ؛ فـ « عن يزيد بن أبى حبيب أن أول من أحدث القعود يوم عرفة فى المسجد بعد العصر عبد العزيز بن مروان » (٢٤) . وكان ذلك سنة إحدى وسبعين، وزاد فى أعطيات الجند (٢٥) ، والقضاة (٢٦) ، وكاد أن يضع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة ، وكان الحجاج بن يوسف قد أخذ الجزية - وهو أول من فعل ذلك - ممن أسلم منهم بالعراق ؛ فصارت قاعدة متبعة فى سائر البلدان ، فكتب عبد الملك إلى عبد العزيز أن يضعها عنهم ، فكلمه ابن حجيرة قاضيه فى ذلك فقال : « أعيذك بالله أيها الأمير أن تكون

---

١٩ - فتوح مصر والمغرب ص ١٤٤ ، ١٤٥ . رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلانى ص ٣١٧ .

٢٠ - ولاة مصر ص ٧١ .

٢١ - د . إبراهيم الدسوقى جاد الرب فى كتابه : شعر البيئة المصرية حتى سنة ١٣٢ هـ (دار الفكر العربى - القاهرة سنة ١٩٩٢م) ص ١٨٥ .

٢٢ - ولاة مصر ص ٦٧ ، ٧٠ .

٢٣ - فتوح مصر والمغرب ص ١٦٣ .

٢٤ - ولاة مصر ص ٧٢ .

٢٥ - المصدر نفسه ص ٧٠ .

٢٦ - فتوح مصر والمغرب ص ٢٦٢ .

أول من سن ذلك بمصر ، فوالله إن أهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم ، فكيف تضعها على من أسلم منهم » (٢٧) ؟ فعاد عما كاد أن يفعله نزولاً على رأى كبير القضاة .

٤ - تتعدد جوانب شخصية عبد العزيز ، ويبرز من بين هذه الجوانب جانبان رئيسان ، قد يبدو على ظاهرهما التناقض - إن اكتفينا بالنظرة العجلى - وقد يكمل أحدهما الآخر - إن تأنينا قليلاً - فيتراءى لنا بشراً ، فيه من الخير مثلما فيه كأى بشر - إلا من عصم الله - من الشر ؛ فهو من ناحية راوٍ للحديث ؛ روى - وكان من التابعين - عن أبى هريرة ، وعن أبيه - مروان بن الحكم - وعقبة بن عامر وابن الزبير (٢٨) . وروى عنه ابنه - عمر بن عبد العزيز - والزهرى وكثير بن مرة وعلى بن رباح وابن أبى مليكة وبجير بن ذاخر (٢٩) . ووثقه النسائى وابن سعد ؛ قال ابن سعد : كان ثقة قليل الحديث . وقال النسائى : ثقة » (٣٠).

وكانت تربطه بابن عمر - كما تربطه بكثير غيره من كبار رجال الدين فى عصره - صلات طيبة ، وكان يرسل إليه بالبز - وفى نسخة بالبر - فيقبله (٣١) . وأرسل إليه مرةً بألف دينار ، وزعها رضى الله عنه - وكان الرسول قد وصل بها إليه فى الليل - قبل أن يطلع النهار على المحتاجين والفقراء (٣٢) .

ونراه يجالس أهل الحديث ، ويسأل بعضهم عن قوله ﷺ - وقد حدثه ابن حجيرة به - « لا تأتى المائةُ وعلى ظَهْرِها أَحَدٌ باقٍ » فيقول لسفيان بن وهب الخولانى - راويه - : «فلعله يعنى لا يبقى أحد ممن كان معه إلى رأس المائة » . فيقول سفيان : « هكذا سمعت رسول الله ﷺ » (٣٣) . ويسأل كريب بن أبرهة بن الصباح عن خطبة عمر بالجابية «أشهدتها » ؟ فيقول كريب « شهدتها وأنا غلام علىَّ إزار أسمعها ولا أعيها ، ولكن أدلك على من سمعها وهو رجل » . ويدله على سفيان بن وهب الخولانى ، فيرسل إليه (٣٤) . ويتتبع آثار الصحابة وكبار التابعين فى مصر ، فيسأل عن فتحهم للإسكندرية ، فيقولون له - وكان قد قَدِمَها - : « لم يبق ممن أدرك فتحها إلا شيخ كبير » . فيأمرهم أن يأتوه به ،

---

٢٧ - المصدر نفسه ص ١٨٢ .

٢٨ - تاريخ الإسلام للذهبى (دار الغد العربى - القاهرة سنة ١٩٩٦م) م٣ ص ٤٩ .

٢٩ - المصدر نفسه والصحيفة .

٣٠ - المصدر نفسه والصحيفة .

٣١ - فتوح مصر والمغرب ص ١٦٠ .

٣٢ - المصدر نفسه ص ١٦١ ، وتاريخ الإسلام م٣ ص ٤٩ .

٣٣ - فتوح مصر والمغرب ص ١١٩ ، ٣٤٠ .

٣٤ - فتوح مصر والمغرب ص ١٤٠ .

ويستمع إليه ، ويقص عليه الرجل طرفاً من أخبار ذلك الفتح وما كان عليه الفاتحون من الزهد والرغبة عن عرض الدنيا وعن المغانم والأسلاب [٣٥] .

ويُذَكِّرُه يزيد بن عروة - وقد وقف بحلوان على غرسه معجباً بما أفاء به الله عليه - بشكر النعمة ، وأن يقول كما قال العبد الصالح (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) ، فلا تأخذه العزة بالإثم - كما أخذت صاحب الجنتين - ولا يدفعه الكبر إلى الغضب عليه أو إيقاع الأذى به ، وإنما نراه يقول : « ذكرتني شكراً » . ثم يأمر غلامه أن يزيد في عطائه عشرة دنانير [٣٦] .

ومات حين مات - على كثرة ثرائه وغناه - وليس لديه إلا ما قد يوجد لدى عامة الناس؛ ثياب « كان بعضها مرقوعاً » وقليل من المال ، وما أمسكه على نفسه من خيل أو رقيق أو دور وبناء [٣٧] . وكان يردد في لحظات الموت : « يا ليتني لم أكن شيئاً ، يا ليتني كهذا الماء الجاري » [٣٨] . ويأتيه من يبشره بمال له ، فيقول : « ما لي وله ، والله لوددت أنه كان بعراً حائلاً بنجد » [٣٩] . وينظر إلى كفنه وقد أمر أن يأتوه به « فلما وضع بين يديه ولاهم ظهره، فسمعوه وهو يقول : أف لك أف ، لم ما أقصر طويلك وأقل كثيرك » [٤٠] . وقد عاش ما عاش جواداً كريماً ، وكانت له - كما يقول ابن عفير - « ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره، وكانت له مئة جفنة يطاف بها على القبائل ، تحمل على العجل إلى قبائل مصر »[٤١] .

لكننا - من ناحية ثانية - نراه وقد حُدَّ في الخمر - كما حُدَّ أخوه عبد الملك - حده عمرو بن سعيد الأشدق [٤٢] ، حين كان - فيما أرجح - والياً على المدينة ؛ فقد قُتل عمرو في بداية خلافة عبد الملك ، ولم يكن له سلطان على عبد العزيز بعد تولي عبد العزيز لمصر ، فإن صح هذا الترجيح كان تعاطيه لتلك الخمور في فترات حياته الأولى ، وهو في ريعان شبابه أو ربما في ريق صباه ؛ فلم نقرأ خبراً واحداً في أيٍّ من المصادر التي تناولت طرفاً من حياته أو ترجمت له يدل على أنه كان يتعاطاها أثناء ولايته لمصر ، على النقيض من عبد

---

٣٥ - المصدر نفسه ص ٩٨ ، ٩٩ .

٣٦ - ولاة مصر ص ٧٢ .

٣٧ - المصدر نفسه ص ٧٧ .

٣٨ - تاريخ الإسلام م ٣ ص ٤٩ .

٣٩ - المصدر نفسه والصحيفة .

٤٠ - المصدر نفسه والصحيفة .

٤١ - ولاة مصر ص ٧٣ .

٤٢ - العقد الفريد لابن عبد ربه جـ٨ ص ٥٦ .

الملك؛ فقد سأله – فيما ذكر صاحب العقد الفريد – سعيد بن المسيب رضى الله عنه « بلغنى يا أمير المؤمنين أنك شربت بعدى الطلا ؟ فقال :إى والله ، وقتلتُ النفس » (٤٣) . وكان ذلك كما تدل العبارة بعد توليه للخلافة وتورطه فى مقتل عمرو بن سعيد .

ونراه كذلك يتساهل مع جماعة من شاربى الخمر ، فلا يقيم عليهم – لشفاعة معديكرب ابن أبرهة وكان كبيراً فى قومه – حد الله ، وهو مما قد جنته – فيما أرى – السياسة عليه . يقول الخبر : « كان معديكرب بن أبرهة جالساً مع عبد العزيز بن مروان على سريره، فأُتِىَ بفتيان قد شربوا الخمر ، فقال : يا أعداء الله ، أتشربون الخمر ؟ ! فقال معديكرب : أَنْشُدُكَ الله أن تفضح هؤلاء . فقال : إن الحق فى هؤلاء وفى غيرهم واحد ، فقال معديكرب : يا غلام صُبَّ من شرابهم فى القدح . فصب له ، فشربه وقال : والله ما شرابنا فى منازلنا إلا هذا . فقال عبد العزيز : خلوا عنهم . فقيل له حين انصرفوا : شربت الخمر ! فقال : أما والله إن الله ليعلم أنى لم أشربها قط فى سر ولاعلانية ، ولكنى كرهت أن يفضح مثل هؤلاء بمحضرى »(٤٤) .

وتتدخل الحزازات الشخصية فى أمور هامة تتعلق بالجهاد وحركة الفتح – وكان حرياً ألا يكون لتلك الحزازات موضع فى مثل هذا المقام الذى تتآلف فيه القلوب المتنافرة من أجل نشردين الله وإعلاء راية الحق – فلا ينسى لزهير بن قيس – وكان زهير قائداً للجيش الذى قاتله عند « أيلة » أثناء استرداد الأمويين لمصر – عند خروجه لملاقاة الروم بأنطابلس – قائداً لجيش صغير قوامه سبعون رجلاً – فيعتب عليه شد ما يكون العتاب ، ويوبخه – لطلبه ألا يُخرج معه رجلاً فظاً غليظاً يدعى جندل بن صخر كان يسبط عنه ويحبس عليه الناس – قائلاً: « ما علمتك يا زهير إلاجلفاً جافياً » – وهو من هو فى سبقه إلى الإسلام وجهاده فى سبيل الله – فيرد زهير : « ما كنت أرى يا ابن ليلى أن رجلاً جمع ما أنزل الله على محمد ﷺ من قبل أن يجتمع أبواك جلف جاف ، ما هو بالجلف ولا الجاف ، أنا منطلق فلاردنى الله إليك » (٤٥) . ويستجيب الله له فلا يعود ثانية ، وينال الشهادة بأنطابلس .

ويجعل على شرطته رجلاً له تاريخ سابق فى البطش والجبروت والطغيان (٤٦) – كما

---

٤٣ – المصدر نفسه ص ٥٧ .

٤٤ – عيون الأخبار لابن قتيبة جـ١ ص ٣٣٣ .

٤٥ – فتوح مصر والمغرب ص ٢٣٠ .

٤٦ – هو عابس بن سعيد المرادى . وقصته مع عبد الله بن عمرو بن العاص حين امتنع عن البيعة ليزيد متداولة معروفة ، وكان قد دعا بالنار والحطب ليحرق عليه قصره لولا أن بايع رضى الله عنه . فتوح مصر والمغرب ص ٢٦٢ .

استعمل الخليفة الحجاج - وقد ظل على عمله ثلاث عشرة سنة ، حتى وافته منيته سنة ثمان وسبعين (٤٧) . وآخر يرفع له كل يوم تقريراً - أشبه ما يكون بالتقارير التى يرفعها رجال الداخلية فى العصر الحديث - عن أحوال الرعية وما يحدث فى البلاد (٤٨) . ولعلها سمة عامة فى دولة - أعنى الدولة الأموية - كان الشك والحرص والحيطة والحذر هى الأساس بين الحاكم - الذى يشبه من بعض جوانبه الحاكم العسكرى - والرعية التى تتوزعها الأهواء ؛ من شيعة ، إلى خوارج وزبيريين ، وغيرها من الفرق - التى حدثنا التاريخ عنها - والأحزاب .

٥ - قبيل مغادرته لمصر - وقد أقام بها شهرين - سأله ابنه عبد العزيز - وقد جعل الولاية له - : « يا أمير المؤمنين ! كيف المقام ببلد ليس به أحد من بنى أبى » ؟ - وهو يشير إلى المخاوف التى كانت تعترى نفس عبد العزيز من الولاية وتبعاتها فى ذلك الإقليم حديث العهد بالولاء لخصومهم السياسيين ، وليس له فيه على حد ما يفهم من قوله ظهير أو نصير - فقال مروان : « يا بنى اعمهم بإحسانك يكونوا كلهم بنى أبيك ، واجعل وجهك طلقاً تصف لك مودتهم ، وأوقع إلى كل رئيس منهم أنه خاصتك دون غيره يكن عيناً لك على غيره . . . وما عليك يا بنى أن تكون أميراً بأقصى الأرض ، أليس ذلك أحسن من إغلاق بابك وخمولك فى منزلك » (٤٩) ؟

ولم تكن تلك الكلمات مجرد وصية ، يوصى بها الأب ابنه فى لحظات الرحيل ، وإنما هى أشبه ما تكون - فى رأيى - بالدستور يضعه سياسى محنك عركته الأيام وعركها لوالٍ لا يزال فى مقتبل الطريق ، وسوف تظل فى وجدانه ونصب عينيه ورقة عمل وأساساً يتكئ عليه - بنداً بنداً - فى سياسته للرعية وإدارته لشئون الحكم ؛ فيجود كجود الطائى ، وتكثر - كما لم تكثر من قبل - جفانه ، ويزيد فى العطاء ، ويتألف القلوب بوجهه الطلق وسماحته - التى قد تصل إلى حد التساهل فى بعض الأحيان - ويقرب إليه وجوه الناس ، ويدعم مركزه ووجوده - فى الجيش والشرطة والقضاء - بقبائل دانت لآله - منذ معاوية بن أبى سفيان - بالعصبية والولاء ، وهى قبائل الجنوب ؛ ومنها كلب - وفيها أخواله - على نحو خاص ، ويتزوج - وقد اتخذ من الزواج كآبائه وسيلة لتدعيم مكانته السياسية - بابنة سهيل بن حنظلة - من جعفر بن كلاب (٥٠) - وحفيدة عمرو بن العاص (٥١) - ولعمرو مكانة خاصة فى

---

٤٧ - ولاة مصر ص ٧٠ ، ٧١ .

٤٨ - فتوح مصر والمغرب ص ٢٦٤ .

٤٩ - ولاة مصر ص ٦٩ . العقد الفريد جـ١ ص ٣١ .

٥٠ - الطبقات الكبرى م٥ ص ٢٨٦ .

٥١ - المصدر نفسه والصحيفة . فتوح مصر والمغرب ص ١٣٨ .

نفوس المصريين - وهى ابنة عبد الله صاحب الصحيفة الصادقة وكان زاهداً ورعاً ، وحفيدة عمر بن الخطاب [٥٢] - الخليفة الثانى - ومنها أنجب خامس الراشدين رضى الله عنه . كما تزوج امرأتى مسلمة [٥٣] - والى مصر من قبل معاوية ويزيد [٥٤] - وأدى عنه عشرين ألف دينار كانت عليه ، وزوج ابنه أبا بكر لابنة مسلمة أم سهل [٥٥] . وكذلك فيما يتعلق بالحجاب ؛ فقد اتخذ قيس بن كليب - حاجب مسلمة من قبل - حاجباً لنفسه [٥٦] ، وقيس هذا كان حاجباً لعمرو بن العاص أيام معاوية بن أبى سفيان ، وكان فتى شاباً جميلاً « فرآه معاوية مع عمرو ، فقال : من هذا الفتى ؟ فقال عمرو : أحد حجابى . فقال معاوية : ما يعانى من حجبه مثل هذا . ثم حجب بعد ذلك عبد العزيز بن مروان » [٥٧] .

ولعلها قد صارت - بحكم التكرار - عادة فى عبد العزيز ؛ أن ينظر إلى ما فى حوزة غيره ، فيتمناه لنفسه ويسعى - دونما كلل - للحصول عليه [٥٨] . وقد نظر إلى «الخطار» فرس لبيد بن عقبة السَّوْمِيّ فأعجبته ، فطلبها من لبيد ، وامتنع لبيد عليه « فأغزاه إفريقية فمات بها ، فلما كان موسى بن نصير ، أهدى إلى عبد العزيز بن مروان خيلاً فيها الخطار ، قال : وقد طالت مَعْرَفَتُه وذنبه ، فلما صارت إليهم الخيل لم يجدوا من يعرف الخطار ، فقالوا: ابنة لبيد ، فبعث به عبد العزيز إليها ، فقالت لمن أتاها : إنى امرأة فاخرجوا عنى حتى أنظر إليه . ففعلوا ، فخرجت فنظرت إليه فعرفته ، فقالت : والله لا يركبك أحد بعد أبى سوياً . ثم قطعت أذنى الفرس وهلبت ذنبه ثم قالت : هو هذا ، خذوه لا بارك الله لكم فيه، فصار لعبد العزيز بن مروان » [٥٩] .

---

٥٢ - الطبقات الكبرى م٥ ص ٢٨٦ .

٥٣ - فتوح مصر والمغرب ص ١٢٥ . ولاة مصر ص ٧٦ .

٥٤ - ولاة مصر ص ٦١ : ٦٣ .

٥٥ - فتوح مصر والمغرب ص ١٢٥ .

٥٦ - ولاة مصر ص ٧٦ .

٥٧ - فتوح مصر والمغرب ص ١٥٠ .

٥٨ - تمنى حين جاء إلى مصر فى إمرة مسلمة بن مخلد أن تكون له ولايتها ، ويجمع بين امرأتى مسلمة ويحجبه حاجبه قيس بن كليب ، فكانت له - كما ذكرت - الولاية ،وجمع بين المرأتين ، وحجبه الحاجب نفسه ، وإن لم تخل الرواية فيما أظن - وهو موجودة بـ « ولاة مصر » ص ٧٦ - من سمات الوضع .

٥٩ - فتوح مصر والمغرب ص ١٧١ .

وكان عبد العـزيز راوية عالماً بالشعر [٦٠] ، يقدره ويقـدر أهله ، ويدرك أهميتـه – فى مختلف مناحى الحياة – وما يمكن أن يقوم به فى خدمته خـاصةً – حاكماً وأميراً لولاية جامعة تعدل الخلافة كما يقول عمرو بن العاص [٦١] ، ومتطلعاً بحكم وصيـة أبيه لأن يصبح خليفة بعد وفاة أخيه [٦٢] – وفى دعم وجود بنى مروان أنفسهم – كما كان بشر وعبد الملك يصنعان بالعراق والشـام – فى تلك البلاد – وكانت لا تزال قـريبة عهـد بالزبيريين – إزاء خصـومهم السياسيين .

وكان بلاطه فى مصـر يعج بطائفة كبيـرة من الشعراء – وافدين ومسـتوطنين – ولم يكن يقل – فيـما يرى البحث – عن بلاط بشر – وكـان بينه وبين عبد العـزيز ما يشبه المنافـسة أو الصراع فى الخفاء – بالعراق – على ما للشعر فـيها من الأصالة ورسوخ الأقدام ، بينما كانت مصر لا تزال فى أطوارها الأولى – ولا يقل كثيراً عن بلاط عبـد الملك نفسه فى مركز الخلافة بالشام .

ويحدثنا التـاريخ عن تلك الروح المرحة التى كـان يتمـيز بها عـبد العزيز فـى تعامله مع الشعـراء ؛ فلم يكد مجلس له يخلو من الدعابة ؛ دخل عـليه كثيـر مرةً – وكان قصـيراً بيِّنَ القصر [٦٣] – فقال له ممازحاً : « طأطئ رأسك لا يصبه السقف » [٦٤] – وكان يدعو بعضهم – كمولاه نصيب – إلى المـنادمة والسمر [٦٥] ، ويحتـمل أيمن بن خـريم – على ما فـيه من البرص – فيؤاكله ، ولا يستنكف – كأخيه بشر حين لحق به أيمن فيما بعد [٦٦] – عن الجلوس معه إلى الطعام ، يمد يده إلى الإناء الذى تمتد إليه يداه ، وقد خضبهما بالورس لتغطية ما بهما

---

٦٠ – الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٢٧ .

٦١ – فضـائل مصر المحروسـة لابن الكندى – ت . د . على محمد عـمر (الهيـئة المصرية العامـة للكتاب – القاهرة سنة ١٩٩٧م) ص ٢٨ . نهاية الأرب للنويرى جـ١ ص ٣٤٨ .

٦٢ – الطبقات الكبرى م٥ ص ٢٨٦ . نسب قريش ص ١٦٠ . تاريخ الإسلام م٣ ص ٤٩ .

٦٣ – وفى الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ ص ٣١٢٧ « عن الـوقاصى قال : رأيت كثيـراً يطوف بالبيت ، فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذبه » .

٦٤ – الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ ص ٣١٢٦ .

٦٥ – العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٢ ص ٨ ، جـ٨ ص ٤٨ .

٦٦ – عيون الأخـبار جـ٤ ص ٦٦ . البرصان والعـرجان للجاحظ ص ١٠٧ ، ١٠٨ . الشعـر والشعراء لابن قتيبة – ت . أحمد محمد شاكر (دار الحديث – القاهرة سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م) جـ١ ص ٥٤١ .

من البياض ، وكان أيمن - كما تشير الأخبار - أثيراً لديه [٦٧] .

ويتغاضى - في سبيل السياسة - عن تشيع كثير ، ووفاء ابن قيس الرقيات لآل الزبير ؛ ما أبديا ولاءهما للأمويين ، وسترا في قلبيهما - وهي سياسة عامة كان يسير عليها فيما يبدو كثير من الخلفاء والأمراء الأمويين - حبهما لمن شاءا من الخصوم ، وقد دالت دولة بعضهم -كالزبيريين - وأصيب آخرون - كالشيعة - بما يشبه الإحباط ، بعد فشل كثير من ثوراتهم ، وأقربها ثورة المختار .

وفي مجلسه كانت تنقد - أثناء الإلقاء وبعده - بعض الأشعار ؛ « دخل كثير على عبد العزيز بن مروان فأنشده شعراً ، فقال له بعض جلسائه : لحنت . قال : في أي شيء ؟ قال: في قولك :

لا أنزُرُ النائلَ الخَليلَ إذا ما اعتَلَّ نَزْرُ الظُّؤْرِ لم ترمِ

وإنما هو ترأم . فقال له : اسكت ، هذا كلام قوي » [٦٨] . وهي لاشك صورة ساذجة من صور النقد ، تقوم على ملاحظة جزئية لمسألة من مسائل اللغة ، لكنها تعكس - على الرغم من هذا - وجهاً من وجوه المحاورة والنقاش حول ما يلقى - في بلاط عبد العزيز - من الشعر ، ولا يسلم منه شعراء كبار ككثير .

وفي تنقله - داخل مصر - كان يصحب معه الشعراء ؛ خرج إلى الإسكندرية « خرجته الثالثة سنة إحدى وثمانين ، وخرج معه إليها وجوه الناس من الأشراف والشعراء » [٦٩] . وفي « سكر» - حيث وافته منيته - دخل عليه نصيب فأنشده - وفي رواية أخرى كثير [٧٠] - بيتين ، يرجو فيهما العافية مما قد ألم به ، ويتمنى لو يستطيع فداءه ، وإذن لافتداه بكل ما يملك ؛ بالطارف والتليد من المال ، وكان عبد العزيز قد اشتد عليه المرض ، فاستأذن للدخول عليه « فقيل له هو مغمور ، فقال : استأذنوا لي فإن أذن فذلك ، وكان لنصيب من عبدالعزيز ناحية ، فأذن له » [٧١] . ولم ينسه شدة المرض أن يأمر له - كعادته في مكافأته للشعراء -

---

٦٧ - عيون الأخبار جـ٤ ص ٦٦ . الأغاني (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، جـ٢٣ ص ٨٠٠٩ ، ٨٠١٠ . الشعر والشعراء جـ١ ص ٥٤١ . در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة للسيوطي - ت - د. حمزة النشرتي وعبد الحفيظ فرغلي وعبد الحميد مصطفى (المكتبة القيمة - القاهرة - بدون تاريخ) ص ٢٨ .

٦٨ - الموشح للمرزباني - ت . علي محمد البجاوي (دار نهضة مصر - القاهرة - بدون تاريخ) ص ١٩٣ .

٦٩ - ولاة مصر ص ٧٤ .

٧٠ - الشعر والشعراء جـ١ ص ٥١٦ . العقد الفريد جـ٢ ص ٢٥٢ .

٧١ - فتوح مصر والمغرب ص ٢٦٥ .

بألف دينار [٧٢] . ثم أوصى به سليمان بن عبد الملك ، فصيره - بعد رحيل عبد العزيز - في جملة سماره ومقربيه [٧٣] .

٢
الشعراء فى بلاطه
(وافدين ومستوطنين)

احتفظت ذاكرة التاريخ بأسماء مجموعة من الشعراء ، شملهم - فيما شمل من العلماء والفقهاء والمحدثين والرواة والأدباء - بلاط عبد العزيز ؛ بعضهم وافد - وهم الأكثر عدداً - والآخر مستوطن مقيم ؛ ومن هؤلاء وأولئك أيمن بن خريم ، ونصيب ، وأمية بن أبى عائذ ، وعبد الله بن الحجاج ، وابن قيس الرقيات ، والأحوص ، وجميل ، وكثير ، وسليمان بن أبان ، والمثلم البلوى ، وذو الشامة ، وزهير بن قيس .

١ - **أيمن بن خريم** : وهو « أيمن بن خريم بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن فاتك بن القليب بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة الأسدى » [١] . اختلف فى صحبته ؛ فقال المبرد - على الجزم - : « له صحبة » . وقال المرزبانى وابن السكن - على الشك - : «يقال له صحبة » . وقال ابن عبد البر : « أسلم يوم الفتح وهو غلام يفقه » [٢] . وأخرج له الترمذى حديثاً واستغربه ، ثم قال : « لانعرف لأيمن سماعاً عن النبى ﷺ » [٣] .

وقد ترجم له ابن حجر العسقلانى فى القسم الأول من كتابه « الإصابة » [٤] - وهو القسم الخاص بالصحابة الذين توافرت فيهم شروط الصحبة وتيقن ابن حجر من صحبتهم للنبى - مما يدل على أنه - وقد أشار إلى ما دار حولها من الخلاف - قد جزم له بها ، أو رجح - ضمناً - الرأى القائل بها .

---

٧٢ - المصدر نفسه والصحيفة .

٧٣ - معجم الأدباء لياقوت الحموى جـ٣ (دار الفكر - بيروت سنة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م) جـ١٩ ص ٢٣٠ .

١ - الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى - ت . عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) جـ١ ص ٣١٦ . الأغانى (ط . الشعب) جـ٢٣ ص ٨٠٠٢ . التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه لأبى عبيد البكرى (الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٧٥م) ص ٤١ .

٢ - در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة للسيوطى ص ٢٨ .

٣ - المصدر نفسه والصحيفة .

٤ - جـ١ ص ٣١٦ .

وعده ابن الأثير - عز الدين أبو الحسن على بن محـمد الجزرى - كذلك فى الصحابة ، وذكر أنه أسلم عام الفتح [٥] . وقال الدارقطنى : له رواية عن النبى ﷺ [٦] . وعقب ابن عبد البـر : « وأما أنا فما وجدت له رواية إلا عن أبيـه وعمه » [٧] . وكلاهمـا بدرى ، ولم يقف ابن عبد البر - كما أشار ابن حجر - إلى الحديث الذى أخرجه له الترمذى [٨] .

وواضح من هذا كله أن أيمن كان قديم الإسلام ، وأنه حين اتصل بعـبد العزيز فى مصر - كان قد جـاوز - سواء أخذنا بالرأى القائل بإسـلامه يوم الفتح ، أو مع قبيـلته فى العامين الأخيرين من حـياة النبى - الستين - على الأقل - من العمر ، وهو ما يـضعف الافتراض - ولا نملك في هذا الصدد غير الفرض - بأنه إنما قصـده من أجل المال - ككثير غيره - وتحقيق الغنى والثراء . ويضعفه من ناحية ثانية ما جاء فى ترجمته بالأغانى [٩] والشعر والشعراء [١٠] من أنه كان فى غزاة - صائـفة لجهاد الروم - مع يحيى بن الحكم ، فأصاب يـحيى جارية بها وضح ، فقال - وكان محمقاً - : « أعطوها أيمن بن خريم » ، فغضب أيمن من تلك السخرية الجارحة ، وانصرف عنه - بعد أن هجاه - ورحل إلى مصر .

ولا نستطيع أن نحدد - علـى وجه الدقة - المدة التى قضاها فى بلاط عـبد العزيز ، إلا أنها لم تكن - فيمـا أظن - قصيرة ؛ يدل على ذلك من بعض الوجوه ما قـاله عبد العزيز - وقد نكأ جرحه هو الآخر حين عيره ببرصه - وكان شىء من الجفاء قد وقع بينهما : « . . . أنا ملولة وأنا أؤاكلك مـذ كذا » [١١] ؟ وهو يريد - كمـا يوحى السياق - التعـبير عن طول معاشرته له ومقامه لديه .

ويوقفنا الخبر الذى قيلت فيه هذه الكلمة - وقـد جاء مفصلاً فى أكثر من مصدر [١٢] -

---

٥ - أسد الغابة فى معرفة الصحابة (دار الفكر - بيروت سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٣م) جـ١ ص ٢٢٢ .

٦ - المصدر نفسه والصحيفة . الإصابة جـ١ ص ٣١٦ . الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البـر - ت . على محمد البجاوى (دار الجيل - بيروت سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م) جـ١ ص ١٢٩ .

٧ -الاستيعاب جـ١ ص ١٢٩ .

٨ - الإصابة جـ١ ص ٣١٦ .

٩ - جـ٢٣ ص ٨٠٠٦ .

١٠ - جـ١ ص ٥٤٢ .

١١ - عيون الأخبار جـ٤ ص ٦٦ .

١٢ -منها : الاغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٢٨ : ٣٣١ ، جـ٢٣ ص ٨٠٠٩ ، ٨٠١٠ والشعر والشعراء جـ١ ص ٥٤١ والبرصان والعرجان ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

على السبب الذى من أجله اضطر أيمن إلى الرحيل عنه ومغادرة بلاطه إلى بلاط أخيه بشر بالعراق ؛ فقد اشترى عبد العزيز نصيباً ، وسأل - على سبيل المباهاة - أيمن عنه وعن شعره ، فقال - وقد وجد فى نفسه من شغف عبد العزيز وكلفه به - : « هو أشعر أهل جلدته » . فقال عبد العزيز : « هو والله أشعر منك » . فقال . « أمنى أيها الأمير » ؟ قال : « إى والله منك » . قال : « والله أيها الأمير إنك لملول طرف » . ويتطور بينهما الحوار - من العتاب إلى الغضب - فيطلب أيمن من عبد العزيز أن يأذن له بالخروج إلى بشر فيأذن له ، ويأمر به فيحمل على البريد إلى العراق ، ويهجوه أيمن بقصيدته :

ركبتُ من المُقَطَّمِ فى جُمادَى ... إلى بِشْرِ بنِ مَرْوانَ البَرِيدا[١٣]

ويعرض فيها بما كان فى وجه عبد العزيز من النمش ، ويغرى عبد الملك بالتنصل من وصية مروان بولاية العهد له وزحزحتها إلى بشر أخيه .

وإذن فقد انتهت إقامة أيمن فى مصر ، مع مجىء نصيب ، ولا يمثل الأمر بالنسبة لعبدالعزيز إلا ما يمثله استبدال شاعر - سوف يكون له شأن عنده - بشاعر ، كان - فيما مضى - أثيراً لديه .

ولئن هجاه أيمن عند رحيله عنه ، فقد مدحه - أثناء إقامته عنده - وأثنى عليه ، وهو القائل - من قبل - فى جوده وكرمه :

لا يَرْهَبُ النَّاسُ أنْ يَعْدِلُوا ... بعَبْدِ العَزيز بنِ لَيْلَى أميرا
تَرَى قِدْرَهُ مُعْلَناً بالفِناءِ ... يُلَقِّمُ بَعْدَ الجَزُورِ الجَزُورا[١٤]

وقد يكون لتشيعه دور - وهو غير مستبعد - فى تلك الجفوة - سبباً مستتراً غير معلن - إضافة إلى ما فيه من روح تميل - رَدَّ فعل للعاهة - إلى الاستعلاء ، وهو آفة الشعراء - مهما بلغت عظمتهم - عند الأمراء ، والذنب الذى لا يمكن مغفرته أو التغاضى عنه بحال .

٢ - **نصيب** : أولى شعراء عبد العزيز - وافديهم ومستوطنيهم على السواء - فى رأيى بلقب - إن جاز لنا وضع الألقاب - « شاعر البلاط » ؛ فقد اصطنعه عبد العزيز لنفسه ، حين اشتراه فأعتقه [١٥] ، أو اشترى ولاءه [١٦] ، أو أدى عنه مكاتبته [١٧] - على اختلاف شديد

---

١٣ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٢٩ ، جـ ٢٣ ص ٨٠١٠ .

١٤ - ولاة مصر ص ٧٣ .

١٥ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٢٤ . الشعر والشعراء جـ١ ص ٤١٠ . معجم الأدباء جـ١٩ ص ٢٢٨ : ٢٣٠ . سمط اللآلى - عبد العزيز الميمنى (لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٣٥٤هـ ١٩٣٦م) جـ١ ص ٢٩١ .

١٦ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٢٤ . الشعر والشعراء جـ١ ص ٤١٠ .

١٧ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٢٤ . سمط اللآلى جـ١ ص ٢٩١ .

في الروايات بين هذه الأمور الثلاثة ، وكلها يفضى فيما يخص البحث إلى نتيجة واحدة ؛ وهى فضل عبد العزيز عليه فى تحريره من ربقة الرق ، والدفع به ، اصطناعاً لنفسه مستقبلاً ، فى مصاف الأحرار - وقضى دينه ، ومكن له - منذ اللحظات الأولى لمقدمه عليه فى مصر - على حساب شعراء كبار كانت لهم منزلة فى نفسه - كأيمن بن خريم - وظل نصيب ملازماً له حتى وفاته ، وهو ما يفهم من قول ياقوت الحموى : « ولم يزل فى جملة عبد العزيز حتى احتضر » (١٨) .

وفى رواية أنه « كان يرحل إليه فى كل عام مستميحاً ، فيجيزه ويحسن صلته » (١٩) . وعلى كلا الروايتين لم تنقطع العلاقة بينهما - وإن اختلفت صورتها بعض الاختلاف ؛ من إقامة شبه دائمة ، إلى الوفود عليه عاماً بعد عام ، والأولى أرجح فى رأيى ، وتؤيدها سائر التراجم وما دار حولهما من الأخبار - منذ بدأت - قبل سنة ٧٥ هـ - إلى سنة ٨٦هـ - وهى السنة التى مات فيها عبد العزيز - أى ما يزيد على عشرة أعوام (٢٠) ، وهى - فيما أعلم - أطول فترة قضاها شاعر فى كنف عبد العزيز .

وقد ظل على ولائه له بعد موته ؛ فكان ينشد مراثيه لعبد الملك حتى يبكيه (٢١) ، ويدخل على عمر بن عبد العزيز - وهو أمير للمدينة - وكان بمسجد رسول الله ﷺ جالساً بين قبر النبى والمنبر ، فيستأذنه فى أن ينشده مما قاله فى رثاء أبيه (٢٢) ، وفى مدحه له (٢٣) لا ينسى فضل أبيه فيجعله « سيد قريش » ، ولا تسعفه المناسبة - إلا ريثما يشير مجرد إشارة عابرة - إلى مزيد من التفصيل .

ويستقل - حين يضطر إلى مدح غيره من الرجال - مديحه لابن هشام ، فيقول وقد أنشد بعضه : « إنا لله ! أبعد ابن ليلى أمتدح ابن جيداء » (٢٤) ؟ وحين يلاحظ إبراهيم بن هشام أن ما قاله فيه من مدح لا يرقى إلى مستوى مدح آخرين - كأبى دهبل فى مدحه لابن الأزرق - ويقول له : « ما هذا بشىء ، أين هذا من قول أبى دهبل لصاحبنا ابن الأزرق : .

---

١٨ - معجم الأدباء جـ ١٩ ص ٢٣٠ .

١٩ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٥٢ .

٢٠ - شعراء مصر من الفتح الإسلامى إلى قيام الدولة الفاطمية - محمد مصطفى الماحى ومحمد عبد المنعم خفاجى (الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٨م) ص ٣١ .

٢١ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .

٢٢ - المصدر نفسه ص ٣٦٣ .

٢٣ - العقد الفريد جـ٦ ص ١٢٤ . البرصان والعرجان ص ٣١٤ .

٢٤ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٦٣ .

. . » ؟ يغضب نصيب وينزع عمامته ويبرك فوقها ويقول : «لئن تأتونا برجال مثل ابن الأزرق نأتكم بمثل مديح أبى دهبل أو أحسن ، إن المديح والله إنما يكون على قدر الرجال»(٢٥) . وقد صدق ، فلو كان ابن هشام – عنده – كعبد العزيز بن مروان لمدحه – ربما – أفضل مما مدح به أبو دهبل صاحبه ، ومدائحه فى عبد العزيز – وهى كثيرة ، وسوف نعرض لها فى جزء تال – خير دليل .

بل لا نذهب بعيداً حين نرى فى محاولته التنسك وترك الشعر فى عهد عمر بن عبد العزيز(٢٦) علاقة – على بعد المسافة الزمنية – بموت صاحبه ومولاه عبد العزيز ، لكنها لم تتعد – على أية حال – فى رأيى طور الرغبة لتتحول – وإن شهد له بعضهم فى حضرة عمر وقد سألهم عنه بالنسك – إلى مجال التنفيذ ، خاصة فيما يتعلق بالشعر ؛ حيث ظل عليه – وإن تراجع عن نوع من النسيب – حتى الرمق الأخير .

وإضافة إلى مدائحه فى عبد العزيز فقد رثاه – وفيه دليل على أنه قد ظل بحضرته حتى وافاه الموت – بأكثر من مرثية ؛ ومنها لاميته التى مطلعها :

أُصِبْتُ يومَ الصَّعِيدِ من سُكَرٍ ... مُصِيبةً ليسَ لى بها قِبَلُ (٢٧)

ورائيته التى أنشدها – فيما بعد – عبد الملك بن مروان :

عَرَفْتُ وجَرَّبْتُ الأمورَ فما أرَى ... كماضٍ تَلاهُ الغابِرُ المتأخِّرُ(٢٨)

وثالثة – رثى فيها معه ابنه الأصبغ وكان قد مات قبله بقليل – مطلعها :

بكيتُ ابنَ ليلى وابنَه ورأيتُنى ... أحَقَّ الألى كانوا معى ببكاهما (٢٩)

وقد دخل عليه فى مرضه وواساه قبيل موته ببعض الشعر (٣٠) ، وظل به يحادثه حتى أضحكه وحرك أريحيته للعطاء ، فأمر له بألف دينار ، وتفاءل آل عبد العزيز خيراً ، لولا أن سبق القضاء . وأوصى به عبد العزيز ابن أخيه سليمان بن عبد الملك (٣١) ، فظلت علاقة نصيب – فيما بعد – ممتدة بآل مروان .

---

٢٥ – المصدر نفسه ص ٣٦٢ .

٢٦ – الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٤٧ ، جـ٦ ص ٢٢٠٣ ، ٢٢٠٤ . تاريخ الإسلام م٣ ص ٤٢٤ .

٢٧ – الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٦٠ .

٢٨ – المصدر نفسه ص ٣٦١ .

٢٩ – الأمالى لأبى عبد الله محمد بن أبى محمد يحيى بن المبارك اليزيدى (عالم الكتب – بيروت ، ومكتبة المتنبى – القاهرة سنة ١٣٦٩هـ) ص ٤٧ . ولاة مصر ص ٧٨ .

٣٠ – فتوح مصر والمغرب ص ٢٦٥ .

٣١ – معجم الأدباء جـ١٩ ص ٢٣٠ .

٣ - **أمية بن أبى عائذ الهذلى** : لم تلتفت إليه - فى العصر الحديث - إلا مراجع قليلة، منها كتاب « مصر العربية » للدكتور حسين نصار ؛ وقد جاء فيه : « ولم يذكر المؤرخون للأدب المصرى أحداً من الشعراء الهذليين » (٣٢) . وفى الحق أن الدكتور عبد الرزاق حميدة كان قد أشار إليه وذكره فى كتابه « الأدب العربى فى مصر من الفتح الإسلامى إلى الفاطميين»(٣٣) - ولعل الدكتور حسين نصار لم يكن قد اطلع عليه - ذكراً عابراً ، واستشهد بأبيات من نونيته فى سياق محاولته إثبات وجود نقد أدبى على عهد عبد العزيز بمصر واستدلاله على أن عبد العزيز نفسه كان ذا حس أدبى .

ثم ترجم له بعد ذلك - ترجمة موجزة اتكأ فيها على كتاب الأغانى - محمد مصطفى الماحى ومحمد عبد المنعم خفاجى فى كتابهما « شعراء مصر من الفتح الإسلامى إلى قيام الدولة الفاطمية » (٣٤) . واستشهدا كذلك بأبيات من نونيته - وهى القصيدة التى قالها فى مدح عبد العزيز - وبمطلع عينيته التى يتشوق فيها إلى أهله بالبادية ويحن - كما أدرك عبدالعزيز - إلى الرحيل .

ومن العجيب أن المصادر التى اهتمت بالتاريخ المصرى - وتناولت فيما تناولت تلك الحقبة التى نعرض لها فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى - كـ « فتوح مصر والمغرب» لابن عبد الحكم و« ولاة مصر » لمحمد بن يوسف الكندى و « رفع الإصر عن قضاة مصر » لابن حجر العسقلانى قد أغفلت ذكره ، ولم يذكره عمر بن محمد بن يوسف الكندى فى كتاب « فضائل مصر المحروسة » ضمن القائمة التى أورد فيها أسماء من دخل مصر من الشعراء ، إلا أنه قال فى آخرها - بعد أن عد منهم جماعة - : « وغير من ذكرناهم » فدل على أنه لم يكن يهدف إلى الإحصاء التام أو الإحاطة بكل الأسماء قدر اهتمامه بالاستشهاد على أن مجموعة من الشعراء الكبار - ككثير وجميل وابن قيس الرقيات ودعبل وأبى نواس - قد دخل مصر وافداً - كما هى الحال فى أقاليم أخرى - على أمرائها ، فشرفت من ثم .

ويترجم له ابن حجر العسقلانى ، ويشير فى ثنايا ترجمته له - وهى قصيرة جداً - إلى كونه - وقد نقل ذلك عن المرزبانى - مخضرماً (٣٥) ، وينقل عبد القادر البغدادى عنه ذلك - ولم أجد فى غيرهما ما يشير إلى خضرمته - فيقول : « شاعر إسلامى مخضرم ، على ما فى

---

٣٢ - ص ٨٩ .

٣٣ - ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

٣٤ - ص ٣٣ ، ٣٤ .

٣٥ - الإصابة جـ١ ص ٣٥٥ .

الإصابة عن المرزبانى » [٣٦] . ولم أجد فى معجم الشعراء للمرزبانى لأمية ذكراً - فلعله قد ضاع فيما ضاع منه - وقد استدركه الدكتور نورى حمودى القيسى - مستنداً إلى ما جاء فى الإصابة - بكتابه « من الضائع من معجم الشعراء للمرزبانى » [٣٧] .

على أنه لم يكن صحابياً ، ولذا وضعه ابن حجر فى القسم الثالث من كتابه - وهو الخاص بمن كان فى حياة النبى ﷺ ولم تتوافر فيه شروط الصحبة - وأغفلته كتب الصحابة الأخرى كأسد الغابة والاستيعاب .

أما أبو الفرج الأصفهانى فقد عده شاعراً إسلامياً « من شعراء الدولة الأموية » [٣٨] . واكتفى ابن قتيبة بقوله : « وهو من شعراء هذيل » [٣٩] . ثم أورد له - وهذا كل ما ذكره فى ترجمته - بيتاً واحداً صدره بقوله : « وهو القائل : . . . . » [٤٠] . وسكتت عنه - فيما اطلعت عليه - سائر المصادر الأخرى ؛ فلم أجد له ذكراً فى أىٍّ منها إلا ما جاء فى « شرح أشعار الهذليين» [٤١] و « ديوان الهذليين » [٤٢] من شعر له .

وقد يكون أمية - وهو ما ترجح لدىّ - مخضرماً - على ما ذكر ابن حجر - عاش فى الجاهلية زمناً ، ثم امتد به العمر فى الإسلام ، حتى أدرك زمن بنى أمية فعده أبو الفرج إسلامياً ، وإلا فهما رجلان من قبيلة واحدة ؛ اتفقا فى الاسم واسم الأب - ولم يذكر ابن حجر من نسبه غير اسمه واسم أبيه - ولد أحدهما فى الجاهلية ثم أدركه الإسلام ، وعاش الآخر حياته كلها فى ظل الإسلام ، ثم خلط عبد القادر البغدادى حين جمع بينهما فى ترجمة واحدة .

وأيّاً ما كان الأمر فقد ندرك من وصف أبى الفرج له بأنه « من شعراء الدولة الأموية » انتماءه السياسى - إضافة إلى الفترة الزمنية التى عاش فيها - ويؤيده - فى رأيى - قوله بعدها : « وكان أمية أحد مداحى بنى مروان ، وله فى عبدالملك وعبد العزيز ابنى مروان قصائد مشهورة ، فذكر ابن الأعرابى وأبو عبيدة جميعاً أنه وفد إلى عبد العزيز إلى مصر ، قاصداً

---

٣٦ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادى - ت . عبد السلام محمد هارون (مكتبة الخانجى - القاهرة - بدون تاريخ) جـ٢ ص ٤٣٥ .

٣٧ - ص ٢٩ .

٣٨ - الأغانى (ط . الشعب) جـ ٢٧ ص ٩٤٤٤ .

٣٩ - الشعر والشعراء جـ٢ ص ٦٦٧ .

٤٠ - المصدر نفسه والصحيفة .

٤١ - جـ٢ ص ٤٨٥ : ٥٤٣ .

٤٢ - جـ٢ ص ١٧٢ : ١٩٤ .

له، وقد امتدحه بقصيدته التى أولها :

ألا إنَّ قلــبى مــع الظَّاعنيــنا ‌ ‌ ‌ ‌ حَزِينٌ فمَنْ ذا يُـعَزِّى الحَزِينا »[٤٣]

وقد احتفظ لنا بها كاملة كتاب « شرح أشعار الهذليين » [٤٤] . ولم أجد له فى عبدالعزيز غيرها ، فمن أين جاء أبو الفرج بقوله : « قصائد مشهورة » إلا أن يكون شعره قد تعرض - ككثير غيره - إلى الضياع ، أو أن يكون الجمع بين عبد العزيز وبين أخيه فى نسق مبرراً لهذا الوصف ؟

وفى الأغانى كذلك : « وطال مقامه عند عبد العزيز ، وكان يأنس به ، ووصله صلات سنية ، فتشوق إلى البادية وإلى أهله فقال لعبد العزيز :

متى راكبٌ من أهْلِ مِصْرَ وأهْلُهُ ‌ ‌ ‌ ‌ بمكَّةَ من مصـرَ العَشِـيَّةَ راجعُ

. . . فقال له عبد العزيز : اشتقت والله إلى أهلك يا أمية ! فقال : نعم والله أيها الأمير . فوصله وأذن له» [٤٥] .

وطول مقامه فى بلاط عبد العزيز - على حد وصف أبى الفرج - مظنة فى رأيى لكثرة الشعر ، أو مدعاة - فى الأقل - لشعر آخر غير النونية والعينية ، لكن شيئاً من ذلك لم نستطع - إنه صح هذا الاحتمال - الوصول إليه .

٤ - **عبد الله بن الحجاج** : [٤٦] شاعر فارس صعلوك ، ذكره الماحى وخفاجى ، وعداه - دون أن يقدما على ذلك أى دليل - من الشعراء المصريين [٤٧] . وربما يصح عده فى شعراء

---

٤٣ - الأغانى (ط . الشعب) جـ ٢٧ ص ٩٤٤٤ .

٤٤ - جـ٢ ص ٥١٥ .

٤٥ - جـ ٢٧ ، ص ٩٤٤٥ ، ٩٤٤٦ .

٤٦ - استشهد له ابن منظور فى عدة مواضع من اللسان ، وسماه مرةً « عبد الله بن حجاج» هكذا مجرداً ، وثانية « عبد الله بن الحجاج التغلبى» وثالثة « عبد الله بن حجاج الزبيدى التغلبى» ورابعة « عبد الله بن الحجاج الثعلبى من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان» . أشار إلى هذا الاختلاف الدكتور نورى حمودى القيسى فى مقدمه ديوانه - المجموع بالجزء الأول من كتابه « شعراء أمويون » - ص ٢٩٤ . ثم قال : « ويبدو أن (الثعلبى) هو الصحيح وأن (التغلبى) تصحيف ؛ لأن عبد الله ينتهى نسبه بثعلبة بن سعد كما جاء فى الأغانى ، ووهم صاحب معجم شعراء اللسان فعد هذه الأسماء أكثر من شاعر . . . » . وممن نسبه إلى تغلب - غير ما جاء فى مواضع من اللسان - الجاحظ فى كتابه البيان والتبيين (جـ١ ص ٣٩٠) . وجزم بكونه ثعلبياً أبو الفرج الأصفهانى فى الأغانى (جـ ١٣ ص ٤٦٧٠) والطبرى فى تاريخه (جـ٥ ص ٢٧٠) والدكتور نورى حمودى القيسى فى مقدمته للديوان .

٤٧ - شعراء مصر من الفتح الإسلامى إلى قيام الدولة الفاطمية ص ٢٨ .

مصر ، من ناحية الاستيطان ؛ فقد قدم إليها فى عهد عبد العزيز - وكان ذلك على الراجح بعد مقتل عبد الله بن الزبير وعفو عبد الملك عنه - « فأجزل صلته ، **وأمره أن يقيم عنده** ، ففعل ، فلما **طال مقامه** اشتاق إلى الكوفة وإلى أهله » . ويفهم منه أن أهله كانوا إذ ذاك بالعراق ، غير أن كلمة الأهل قد تطلق على ذوى قرباه من الأعمام والأخوال وسائر أبناء العشيرة كما تطلق على الزوج وعلى الأبناء . « فاستأذن عبد العزيز **فلم يأذن له** ، فخرج من عنده غاضباً ، فكتب عبد العزيز إلى أخيه بشر أن يمنعه عطاءه ،فمنعه ، ورجع عبد الله لما أضر به ذلك إلى عبد العزيز ، وقال يمدحه :

تركتُ ابنَ ليلى ضَلَّةً وحَريمَهُ ... وعندَ ابنِ ليلى مَعْقِلٌ ومُعَوَّلُ

. . . » [٤٨] إلى آخر الأبيات ؛ وفيها يعلن عزمه - وقد اختاره من بين الأنام بعد أن أحكم أمره وبدا له الرشد والصواب - على البقاء لديه ، « فقال عبد العزيز : أما إذ عرفت موضع خطئك» - لأنه خرج من عنده دونما استئذان مخالفاً شرط البقاء الذى كان قد اشترطه عليه فى بداية اتصاله به - « واعترفت به فقد صفحت عنك . وأمر بإطلاق عطائه ووصله ، وقال له : أقم ما شئت عندنا أو انصرف مأذوناً لك إذا شئت» [٤٩] .

وتنقطع بعد ذلك - فى سائر المصادر - أخباره مع عبد العزيز ؛ فلا ندرى أأقام عنده بعدها - كما أظهر اعتزامه فى الشعر - أم رحل عنه - وقد أُحلَّ من شرط البقاء وصار الأمر موكولاً إليه - غير أننا نجد له بيتاً فى « ولاة مصر » يهجو فيه « عبد الله بن عبد الملك » واليها من قبل أبيه بعد وفاة عبد العزيز ، ويجارى المصريين فى تشاؤمهم منه - لتشدده ووقوع الغلاء فى عهده - فإن صح هذا البيت له - وقد فات الدكتور نورى حمودى القيسى وضعه فى الديوان الصغير الذى جمعه له - كان دليلاً على بقائه بمصر مختاراً طيلة حياة عبد العزيز وجزءاً من ولاية عبد الله بن عبد الملك - وقد دامت ولايته سنتين وعشرة أشهر [٥٠] - وربما امتدت بعدها - وليس لدينا على ذلك أى دليل وقد سكتت المصادر كما ذكرت سكوتاً تاماً - حتى وافاه الموت ؛ فيكون « مستوطناً » على هذا الاعتبار .

وربما - وهو احتمال قائم كذلك تدعمه بعض الأخبار غير الصريحة فى تحديد الزمن أو الوقت - يكون قد رحل عنها - فلا يعدو أن يكون شاعراً وافداً كسائر الوافدين ، إلا أنه وافد قد أقام مدة غير قصيرة فى مصر - ففى « الأغانى » خبران له مع « الوليد بن عبد

---

٤٨ - الأغانى (ط . الشعب) جـ ١٣ ص ٤٦٨١ ، ٤٦٨٢ .

٤٩ - المصدر نفسه ص ٤٦٨٢ .

٥٠ - ولاة مصر ص ٨٤ .

الملك»- خليفة المسلمين بعد أبيه - يأمره - هو وابن هبيرة - فى أحدهما بمبارزة رجل - وكان ابن الحجاج شجاعـاً فاتكاً - فى بركة ماء (٥١) . ونص الثانى - وهو مـن كتاب لأحـمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابى - « كان عبد الله بن الحـجاج قد خرج مع نجدة بن عامر الحنفى الشارى ، **فلما انقضى أمره** هرب وضاقت عليه الأرض من شدة الطلب ، فقال فى ذلك :

رأيتُ بلاد الله . . .

قال : ثـم لجـأ إلى أحيح بن خالـد بـن عقبـة بن أبى معيط ، فسـعى به إلى الوليد بن عبد الملك، فبعث إليه الشرط ، فأخذ من دار أحيح ، فأتى به الوليد فحبسه . . . » (٥٢) . ثم أطلق بعد ذلك سراحه .

وأرجـح أن ذلـك كـان قبل خلافة الوليد ؛ فالخـبر الثانى يرتبط بخروج نجـدة بن عامر - رأس النجدات - وانقضاء أمـره ، وقد قتل نجدة سنة ٧٢ هـ - ويلقى الخبر مـن ناحية ثانية ظلاً على اتصال شاعرنا فى فترة من فترات حياته بالخوارج وانضوائه تحت لواء نجدة على وجه الخصـوص - والأول يرتبط - كما هو ظاهر -بـفتوته - وكـان قد مارس الصـعلكة واتخذها مسلكاً - قبل أن يتقدم به العمر .

ويصفه الدكتور « نورى حمودى القيسى » بـ « الأموية » - على الرغم من تعدد انتماءاته السيـاسيـة - فيقـول : « وصلة الشاعـر بخلفاء بنى أميـة صلة وثيقـة ، ومديحـه لهم مديح خالص؛ لأنهم فى عـرفه معـاقله الذين يعول عليهـم فى كل أمر ، وكانوا يحـسنون صلته ، ويوصلون عطاءه . . . » (٥٣) .

وأرى أن صلته بهم لم تتـعد « النفعـية » بحال ؛ فـالعطاء من ناحية ، والرهبـة - وقد تعددت جرائره - من ناحيـة ثانية هما اللذان كانا يدفعانه إلى أحضان الأمـويين ، وأكثر شعره فى عبد الملك نفسه لا يخلو من الاعتذار والرغبة فى انتشاله - بالعفو عنه - من دائرة الخوف، وكان عبد العزيز يتألفه - وهو يعرف ما يعرفـه عنه - كما يتألف غيره - ومنهم الشيعى ككثير وأيمن بن خريم ، والزبيـرى كابن قيس الرقيات - تمشـياً مع سياسـة « لم الشمل » - إن جاز التعبير - أو « رأب الصدع وجمع الأشتات » ؛ وهى السياسة التى تبناها الأمويون بعد القضاء على الزبيريين وانكسار شـوكة الخوارج وما منيت به الشيـعة من الفشل والإخفاق ، وسـياسة

٥١ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١٣ ص ٤٦٨٥ ، ٤٦٨٦ .

٥٢ - المصدر نفسه ص ٤٦٧٤ : ٤٦٧٦ .

٥٣ - شعراء أمويون جـ١ ص ٢٨٨ .

«الرضا بالولاء الظاهر» - ما لم يتحول الولاء الحقيقى المستور إلى فعل أو يترجم إلى عمل مضاد - التى أعلن عنها الحجاج فى خطبته الشهيرة بالعراق .

فقد شب عبد الله بن الحجاج على مناوئة الأمويين - فى صور شتى عديدة - وانضم إلى صفوف المعارضة - مقاتلاً بالكلمة والسيف - عدة مرات ؛ بدأ حياته صعلوكاً - وقد توافرت له من مؤهلات الصعلكة صفتان أساسيتان ؛ الشجاعة والفتك - وانتقل - كما يقول أبوالفرج- بعدها « من عسكر إلى عسكر » (٥٤) أو من جيش إلى جيش ؛ فنراه وقد خرج -فيمن خرج - مع عمرو بن سعيد بن العاص على عبد الملك بن مروان ، « فلما قتل عبدالملك بن مروان عمراً خرج مع نجدة بن عامر الحنفى ، ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزبير وكان معه إلى أن قُتِل » (٥٥) .

وفى خبر آخر - رواه ثعلب - أنه « كان شجاعاً فاتكاً صعلوكاً من صعاليك العرب ، **وكان متسرعاً إلى الفتن** ، فكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد بن العاص ، فلما ظفر به عبدالملك هرب إلى ابن الزبير ، وكان معه حتى قتل ، ثم اندس إلى عبد الملك فكَلَّمَ فيه فأمنه»(٥٦) .

ويصفه أبو الفرج - فى موضع ثالث - بأنه كان من أصحاب عبد الله بن الزبير وشيعته(٥٧) . وهذا يعنى - من ناحية - أنه لم يتصل بعبد العزيز إلا بعد سنة ٧٣ هـ - كما ذكرت - وأن ولاءه - من ناحية ثانية - للأمويين على النحو الذى يصوره بعض الدارسين مما قد يحتاج إلى نظر وإعادة بحث .

٥ - ابن قيس الرقيات (*) : شاعر الزبيريين بلا منازع ، و « شاعر قريش فى

٥٤ - الأغانى (ط . الشعب) جـ ١٣ ص ٤٦٧٠ .

٥٥ - المصدر نفسه والصحيفة .

٥٦ - المصدر نفسه ص ٤٦٧٠ ، ٤٦٧١ .

٥٧ - المصدر نفسه ص ٤٦٧١ .

(*) يقول الدكتور عبد السلام هارون (البيان والتبيين جـ٢ ص ٢٧٨هـ ٦) فيما دار حوله من الاختلاف : « التزم الجاحظ أن يذكره باسم « عبد الله» . وكان لقيس ولدان ، عبد الله وعبيد الله ، واختلفوا فى الشاعر منهما ؛ فقال ابن قتيبة والمبرد فى « الكامل» :هو عبد الله . وقال المرزبانى فى معجمه : هو عبيد الله ، بالتصغير . قال : ومن الرواة من يقول الشاعر عبد الله ، وهو خطأ . وقال ابن السيد فيما كتب على الكامل : ذكر المبرد أن اسمه عبد الله بن قيس . وكذلك قال فيه ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة . وقال غيرهم : هو عبيد الله . حكاه أبو عبيد عن الأصمعى وغيره ، ومنهم الكلبى . وكذلك قال المصعب الزبيرى فى أنساب قريش . هذا ما كتبه البغدادى فى تحقيق الاسم . وأضيف إليه أن أبا الفرج رواه =

الإسلام»[٥٨] ، تربطه بعبد العزيز صلـة قرابة من ناحية الانتماء إلى قبـيلة واحدة ؛ هى قبيلة قـريش ، وإن كان أحـدهما - وهو ابـن قيس - من « قـريش الظواهر » [٥٩] ، والآخر من «قريش البطاح» .

وفد إلى مـصر - فيـما أرجح - بعد انتـهاء حركـة الزبيريين ، وقـد احتفظ لنا كـتـاب «الأغانى » برواية طويلة - ذكرها أبو الفرج أثناء ترجمـته له - تلقى ضوءاً كاشفاً على ظروف وفادته وسبب اختياره لعبد العزيز والزمن الذى يغلب على الظن أنه قد وفد عليه فيه ، يرويها اليزيدى - محمد بن العباس - والحرمى بن أبى العـلاء وغيرهما عن الزبير عن مولى قيس بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن ابن قيس نفسه قال : « خرجت مع مصعب بن الزبير حين بلغه شخوص عبد الملك بن مروان إليه ، فلما نزل مصعب بن الزبير بمسكن ورأى معالم الغدر ممن معـه ، دعانى ودعـا بمال ومناطق ، فملأ المنـاطق من ذلك المال وألبسنى منهـا ، وقال لى : انطلق حيث شئت فإنى مقتول . فقلـت له : لا والله لا أريم حتى أرى سبيلك ، فأقمت معه حتى قُتل ، ثم مضيت إلى الكوفـة ، فأول بيت صرت إليه دخلته » [٦٠] . وهو بيت لامرأة لم يسمها ، وجاء فى رواية أخرى أنها « كَثِيرة» التى كان يذكرها فى شعره [٦١] . و « كثيرة» هذه امرأة على بن عبد الله بن العباس - كما جاء فى « تاريخ الإسلام » للذهبى [٦٢] - وهو ما يدفعنى إلى الشك فى قـوله « فأول بيت صرت إليه دخلته » ؛ فالعـبارة هكذا توحى بعدم القصـد فى اختياره لبـيتها ، بـينما توحى الملابسات - وبالتـحديد صاحبـة البيت ، وهى ممن تربطها وآلها ببنى أمية خصومة وعداء - بهذا القصد .

ونسير مع الرواية لنرى إكرام هذه المرأة له ، وبقاءه فى بيتها - متوارياً عن عيون عبدالملك التى كانت تلاحقـه فى كل مكان - « أكثر من حول » - ويكون الزمـان على هذا حول السنة

= بالتصغير ، وكتب ترجمة له فى الأغانى (٤ : ١٥٤ - ١٦٦) . وأمـا البغدادى فقد ترجم له وكتب تحقيقا مسهبـاً فيمن لقبه " الرقـيات " أهو الشاعر أم أبوه كما ذكـر سبب هذا اللقب . انظر الخزانة (٣:٢٦٦- ٢٦٩) وكذا ابن قتيبة فى الشعراء» .

واختلفوا كذلك « هل الرقيات فى اسمه مرفوعة على الصفة أو مجرورة على الإضافة ومن هذه الرقيات» ؟ سمط اللآلى جـ١ ص ٢٩٤ هـ١ .

٥٨ - الأغانى (ط . الشعب) جـ٥ ص ١٧١٩ .

٥٩ - الشعر والشـعراء جـ٢ ص ٦٤٨ . وهم أعراب بادية مكة من قريش ، الذين نزلوا بظهور جـبالها ، ولم ينزلوا شعبها وبطاحها .

٦٠ - الأغانى (ط . الشعب) جـ٥ ص ١٧٢٠ ، ١٧٢١ .

٦١ - المصدر نفسه ص ١٧٢٨ .

٦٢ - م ٣ ص ١٥٤ .

الثالثة والسبعين من الهجرة أو بعـدها بقليل ؛ فقد قُتل مصعب فى « مسكن » سنة ٧٢هـ- ثم يضطر - وقد سمع وهو فى مكمنه عندها منادياً ينادى فى طرقـات الكوفة بوعيد السلطان لمن آوى مثله - إلى التـوجه إلى مكة - وفيها أهله ومـنزله - فتعد له راحلتين وعـبداً - هبةً له - ولا يبقى فى مكة إلا ريثمـا يطمئن على حال الأهل ، ثم يغادرها إلى المدينة قاصـداً عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب - وكـانت له مكانة عند الخليفة والأمراء - متنكراً فى ثياب أعـجمية ملثم الوجه ، فيصادفه وهو يعشى أصحابه عند المساء . يقول - ولندع ابن قيس يتحدث بنفسه عن تلك الملابسات - : « فـجلست معهم ، وجـعلت أتعاجم وأقـول : يا ريار » وهى كلمة فارسية تعنى الصاحب والمعين « ابن طيار » لقب جعـفر ؛ حيث قتل أبوه يوم مؤتة فجعل الله له جناحين - كما أخبر رسول الله ﷺ (٦٣) - يطير بهما فى الجنة . « فلما خرج أصحابه كشفت له عن وجهى ، فقال : ابن قيس ؟ ! فـقلت : ابن قيس ، جئتك عائذاً بك . قال : ويحك ، **ما أَجَدَّهم فى طلبك وأحرصهم على الظفر بك** ، ولكنى سأكتب إلى **أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان** ، فهى زوجـة الوليد بن عـبد الملك ، وعـبد الملك أرق شىء عليـها . **فكتب إليها** يسألها أن تشفع إلى عمها ، **وكتب إلى أبيها** » يعنى عبد العزيز بن مروان « يسأله أن يكتب إليها كتاباً يسألها الشفاعة » .

ولاشك أن مـثل هذه المكاتبات - القـائمة علـى تخطيط محكم - قـد احتـاجت بعض الوقت، لكنها على أية حـال قد أثمرت ، ونال ابن قيس - بعد لأى - الـعفو عنه ، واتصل بعبد الملك ومدحه - لتوثيق هذا الأمان - ثم غادر - فيما أرجح - إلى عبد العزيز بمصر .

ولم يكن غريباً - فى رأيى - اختياره لعبـد العزيز دون سواه ، وكان حليماً يتسع صدره لما قد لا يتسع لـه صدر غيره - كعـبد الملك والحجاج - ولابن قيس تاريـخ - مع مصعب بن الزبير وأخيه عـبد الله - وصحيفة - فى رأى السلطة - سـوداء ، ظلت تؤرق عبد الملك حتى بعد أن أمنه وانفلت العفو مـن اللسان ، وكان عبد العزيز كريماً وفى ظله مظنة التـعويض عما لحقه من ضرر ، وافتقده بافتقاد صـاحبه مصعب وقد ضيق عليه عبد الملك فى العطاء (٦٤) .

٦٣ - جاء فى كتاب « الروض الأنف » للسهيلى جـ٤ ص ٨٠ عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « دخلتُ الجَنَّةَ البارحةَ فرايتُ جَعْفراً يطيـرُ مع الملائكةِ وجَناحاهُ مُضَرَّجانِ بالدم » . وفى صحيح البخارى جـ٣ ص ٥٨ : « . . . عن عامر قال : كان ابنُ عمر إذا حيَّا ابنَ جعفر قال السَّلامُ عليك يا ابنَ ذى الجناحينِ » . وفى السيرة النبوية لابن هشـام م٢ ص ٣٧٨ قيل إن الله أبدله هذين الجناحين بيديه اللتين قطعتا - يوم مؤتة - وهو يحمل الراية .

٦٤ - وجاء فى « الأغانى » جـ٥ ص ١٧٢٣ أنه قال له : « أما الأمان فقد سبق لك ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً » . وكان ابن قيس قد مدحه بقصيدته البائية ، وظن أنه - وقد نال منه الأمان - سوف يكافئه على هذا الصنيع .

فكان لعبد العزيز - وهو الأهم - دور - كما وضحت الرواية السابقة - فى فك رقبته - وكان عبد الملك « قد جعل على قتله جعلاً » [٦٥] - وقد أحكمت من حولها الحبال ، فكان سبباً - مع ابن جعفر وأم البنين وقد دان لهما كذلك بالولاء - فيما وُهِبَ له من حياة .

ومدائحه فيه - وقد حل ببلاطه - من الكثرة - إذا قيست بمدائح غيره - بمكان [٦٦] ، غير أنها لا تدفع إلى القول - كما قال رائد من رواد البحث فى أدب مصر فى تلك الفترات وهو الدكتور محمد كامل حسين [٦٧] - بأنها **كثيرة جداً فى الديوان** ، فالقدر الموجود فيه منها لا يسمح بهذا الوصف ، وأرى - كما رأى غيرى [٦٨] - أنه قد بالغ فيه .

ومن الغريب أننا لا نجد لوفادته على عبد العزيز - وهى تمثل مرحلة هامة من مراحله - ذكراً فى كتب ؛ كـ « طبقات فحول الشعراء » و « الشعر والشعراء » - مع اهتمامهما بأمور أخرى أقل كثيراً فى رأيى من تلك الوفادة - وقد استغرقت زمناً غير قصير ؛ فقد لازمه منذ مجيئه حتى ما بعد سنة ٨٠ هـ ؛ وفى « ولاة مصر » [٦٩] ما يفيد أنه كان ضمن الشعراء الذين خرجوا مع عبد العزيز - خرجته الثالثة - إلى الإسكندرية ، وكان ذلك سنة إحدى وثمانين ، وله فيها شعر [٧٠] ، يصف خلاله الرحلة وصفاً دقيقاً ، يتجاوز - وهو القائم فيما أرى على الرؤية والمشاهدة - حدود النقل والإخبار عن الآخرين .

٦ - الأحوص الأنصارى : ذكره ابن الكندى فيمن دخل مصر من الشعراء [٧١] ، وأغفلته مراجع متخصصة - كـ « شعراء مصر » و « الأدب العربى فى مصر » وغيرها - وهو - مع اختلافات طفيفة فى اسمه - عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن أبى الأقلح [٧٢] . ينتمى إلى الأوس ، وجده الأعلى - عاصم بن ثابت - هو المعروف فى كتب

---

٦٥ - سمط اللآلى جـ١ ص ٢٩٤ .

٦٦ - ديوانه - ت . د محمد يوسف نجم - ص ٧ ، ١٢ ، ١٥١ ، ١٥٨ .

٦٧ - أدبنا فى عصر الولاة ص ١٢٥ .

٦٨ - الدكتور إبراهيم الدسوقي جادالرب فى كتابه « شعر البيئة المصرية حتى سنة ١٣٢هـ» ص ١٨١ .

٦٩ - ص ٧٤ .

٧٠ - المصدر نفسه ص ٧٤ ، ٧٥ . وهو بديوانه ص ١٥٨ .

٧١ - فضائل مصر المحروسة ص ٢٦ .

٧٢ - الشعر والشعراء جـ١ ص ٥١٨ . الأغانى (ط . الشعب) جـ٤ ص ١٤٣٨ . سمط اللآلى جـ١ ص ٧٣ .

الصحابة والتراجم والسير بـ « حَمِيّ الدَّبْر » [٧٣] ، وقد افتخر به فى شعره ؛ على نحو ما جاء فى قوله :

فأنا ابنُ الذى حَمَتْ لَحْمَهُ الدَّبْـ ـرُ قَتيلُ اللِّحْيانِ يَوْمَ الرَّجِيعِ [٧٤]

كما افتخر بخاله « حنظلة بن أبى عامر » الملقب بـ « غَسِيل الملائكة » ، وهو خال جده الأعلى حمى الدبر [٧٥] ، لا خاله القريب كما ظن الدكتور شوقى ضيف فجعله أوسياً -كذلك - من جهة الأم [٧٦] ، وإن صيغت عبارته على الاحتمال .

لا نعرف على وجه الدقة سنة ميلاده - فقد أغفلتها مصادره فيما اطلعنا عليه - ورجح كارل بتراشك - فى دائرة المعارف الإسلامية ، مادة « الأحوص » - أنه ولد سنة خمس وثلاثين ، بينما جعلها محقق ديوانه - لوجود قرائن دالة - « حوالى سنة أربعين للهجرة ، أو دونها بقليل ، أو فوقها بقليل » [٧٧] . وعلى كلا الحالين يكون اتصاله بعبد العزيز قد تم فى مرحلة الكهولة ما بين الخامسة والعشرين أو الثلاثين إلى الخامسة والأربعين أو الخمسين ،

---

٧٣ - السيرة النبوية م١ ص ١٦٩ : ١٧١ . وفيها أن جماعة من عضل والقارة قدموا على رسول الله ﷺ فى السنة الثالثة للهجرة ، وقالوا : إن فينا إسلاماً ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فى الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام . فبعث معهم النبى ﷺ ستة من أصحابه - فيهم عاصم بن ثابت هذا - حتى إذا كانوا على الرجيع - وهو ماء لهذيل - غدروا بهم ، واستصرخوا عليهم هذيلاً ، فلم يرعهم وهم فى رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم ، فقالوا لهم: إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم . فأبى عاصم وآخران معه ، وقالوا : لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً . فقاتلوهم ، وقتل عاصم ، وأرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد لئن قدرت على رأسه لتشربن فى قحفه الخمر ، فمنعته - رضى الله عنه - الدبر ، وحالت بينه وبينهم . وانظر فيه كذلك : الإصابة م٣ ص ٤٦٠ ، ٤٦١ (رقم ٤٣٦٥) وأسد الغابة م٣ ص ٥ ، ٦(رقم٢٦٦٣) والطبقات الكبرى م٢ ص ٧٥ : ٧٧ .

٧٤ - ديوانه ص ١٥٧ .

٧٥ - فأم عاصم بنت ثابت هى الشموس بنت أبى عامر وهى أخت حنظلة . المحبر لابن حبيب ص ٤١٧ والإصابة م٨ ص ٢٠٤ (رقم ١١٣٨٤) وأسد الغابة م ٦ ص ١٦٧ (رقم ٧٠٤٣) والطبقات الكبرى م٨ ص ٣٨٨ وشعر الأحوص الأنصارى - ت . عادل سليمان جمال - ص ١٦ مقدمة .

٧٦ - الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية - ط٤ (دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٩م) ص ١١٥ .

٧٧ - شعر الأحوص الأنصارى - ت . عادل سليمان جمال - ص ٢٢ مقدمة .

وليس لدينا ما نطمئن إليه فى تحديد السنة - أو السنوات - التى قضاها فى بلاط عبد العزيز على وجه دقيق .

ونقرأ فى شعره - وهو مما مدح به عبد العزيز من قصيدة طويلة بالديوان - :

قالتْ أقِمْ لا تَبِنْ مِنَّا فقلتُ لها ... إنِّى وإنْ كنتُ مَلْعُوجاً بِىَ الكَمَدُ
لتاركٌ أرْضَكم من غيرِ مَقْلِيَةٍ ... وزائرٌ أهْلَ حُلْوانٍ وإنْ بَعُدُوا
إنِّى وجَدِّكَ يَدْعُونى لأرْضِهِمُ ... قُرْبُ الأواصرِ والرِّفْدُ الذى رَفَدُوا[٧٨]

وفيها يضع أيدينا - بشكل صريح - على سببين أساسيين من أسباب مجيئه إلى بلاط عبد العزيز ؛ أحدهما « قرب الأواصر » ، وإن كانت القرابة - كما يقال - من بعيد ؛ «فزوج عبد العزيز بن مروان ، وهى أم عمر بن عبد العزيز ، هى أم عاصم بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب ، وأم عاصم بن عمر هى جميلة بنت ثابت بن أبى الأقلح أخت عاصم بن ثابت جد الأحوص الأعلى » [٧٩] . لذا فقد كان عمر بن عبد العزيز يدعوه خاله ، ويكرمه - حين كان والياً على المدينة للوليد - حتى ساءت سيرته ، وكان الأحوص يرتكز كثيراً - فى مدائحه له وأبيه - على تلك الآصرة . والثانى « الرفد » ، وكان - كما يرى شوقى ضيف فى سبب اتصاله ببنى أمية عامة - غير مُثْرٍ ، وقد « أراد أن يدفع بهم شر الحاجة » وكانوا هم من ناحية ثانية يقربونه ويجزلون مكافأته [٨٠] .

ونستطيع أن نضيف - لما ذكره الشاعر - سبباً ثالثاً ، يتعلق هذه المرة بسوء علاقته بأهل المدينة ؛ لما عرف عنه من نزق وطيش - وقد أفاض فى بيان هذه النقطة الدكتور شوقى ضيف[٨١] - واصطناع بنى أمية - بسبب سوء علاقتهم هم أيضاً بأهل المدينة - للشعراء من أمثاله ؛ لهجائهم - كما استأجروا الأخطل من قبل - ومواجهتهم عندما يقتضى الأمر .

وقد بلغ تعلقه بالأمويين - أرباب نعمته - الحد الذى لا يرى فيه أحداً آخر يسد مسدهم فى العطاء ، حتى ليستحى أن يجتدى غيرهم أو يتوجه إليهم بالسؤال ؛ يقول فى مدح بعضهم :

وإنِّى لأسْتَحْيِيكُمُ أنْ يَقُودَنى ... إلى غيرِكم من سائرِ النَّاسِ مَطْمَعُ
وأنْ أجْتَدِى للنَّفْعِ غَيْرَكَ منهمُ ... وأنتَ إمامٌ للبَرِيَّةِ مَقْنَعُ[٨٢]

---

٧٨ - شعر الأحوص الأنصارى - ت . عادل سليمان جمال - ص ٩٣ .

٧٩ - المصدر نفسه ص ١٩ مقدمة .

٨٠ - الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية - ص ١١٧ .

٨١ - المرجع نفسه ص ١١٥ ، ١١٦ .

٨٢ - شعر الأحوص الأنصارى - ت . عادل سليمان جمال - ص ١٤١ .

ويصل هواه فيهم إلى درجة « الحب على كل حال » ؛ أعطوه ، أم ضنوا عليه بالعطاء:

أهْـوَى أُمَـيَّـــةَ إنْ شَـطَّتْ وإنْ قَـربَتْ   يوماً وأُهْدى لها نُصْـحى وأشْعارى[٨٣]

غير أن علاقته بعبد الملك - وقد سكت عن مدحه فيما ضَمه ديوانه المَجموع بينَ دفتيه من الأشعار - لم تكن كعلاقته بمن جاء بعـده - كالوليد بن يزيد - من الخلفاء ، وكان عبد الملك يدعـوه « المخنث » [٨٤] ، فاستـعاض عنه فيمـا أرى - أول اتصاله بالأمويين وبداية عـلاقته الفعلية بهم - بأخيـه وولى عهده وخليفة المسلمين - إن سارت الأمـور فى مجراها ولـم يسبق إليه الموت - من بعده ؛ عبد العزيز بن مروان ، فضلاً عما يجمعه به وبابنه عمر - وكان يعده ذخراً للقابل من الأيام [٨٥] - من القرابة وصلات الدم .

٧ - **جميل بثينة** : وهو جميل بن عبد الله بن مـعمر الجمحى [٨٦] ، « وقد يقـال فيه جميل بن معمر بن عبد الله » [٨٧] ، فيتفق اسمه واسم أبيـه ونسبه إلى « جمح » مع جميل آخر ذكره السيوطى فى «در السحابة » [٨٨] ، وذكر - نقلاً عن المبرد - أنه كان صحابياً وأنه شهد فتح مكة وحنيناً وأنه كـان قاضياً لعمر بن الخطاب ، وهو الذى أخبر قـريشاً بإسلام عمر حين أخبره به واستكتمه إياه . ثم نبه على أنه غير جميل العذرى الشاعر المعروف صاحب بثينة ولا نسب بينهمـا . وكلاهمـا - على أية حال - قد نزل مـصر [٨٩] ، وروَى جميل شـاعرنا الحديث - عن أنس بن مالك [٩٠] - ورُوِىَ عنه ، فهو معـدود - كالصحابى - من رواته ، غير أنه يروى - كالتابعين - عن صحابى ولا يروى - مباشرة - عن رسول الله .

لانعرف سـنة ميلاده ، إلا أنه كـان فى خلافـة معـاوية (٤٠ - ٦٠هـ) شاباً كـما تدل

---

٨٣ - المصدر نفسه ص ١٣١ .

٨٤ - الأغانى (ط . الشعب) جـ٤ ص ١٤٦٨ .

٨٥ - نحو قوله :

وقد كنتَ أَرْجَى النَّاسِ عندى مَوَدَّةً   ليالىَ كـانَ الظَّنُّ غَيْبـا مُرَجَّمـا

ديوانه ص ١٩٨ . وهو من أبيات قالها فى عتاب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بعد توليه الخلافة .

٨٦ - الأغـانى (ط . الشعب) جـ٨ ص ٢٨٣٦ . الشعر والشـعراء جـ١ ص ٤٣٤ . تاريخ الإسـلام م٣ ص ١١٥ . سمط اللآلى جـ١ ص ٢٩ .

٨٧ - الشعر والشعراء جـ١ ص ٤٣٤ .

٨٨ - ص ٤٧ .

٨٩ - در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة ص ٤٧ . فضائل مصر المحروسة ص ٢٦ .

٩٠ - تاريخ الإسلام م٣ ص ١١٥ .

الأخبار [٩١] . ولا نعرف كذلك الزمن – على وجه التحديد – الذى اتصل فيه بعبد العزيز وانضم إلى شعراء بلاطه ، إلا أنه إذا صح أنه مات سنة ٨٢ هـ [٩٢] ، فإن وفادته تكون قريباً من هذا التاريخ ؛ لأنه – وكما جاء في رواية احتفظ لنا بها كتابا « الأغانى » [٩٣] و « الشعر والشعراء » [٩٤] – لم يمكث فيها طويلاً ، وأنه – وقد وصفت الرواية لحظات وداعه لبثينة وامرأة معها حين اعتزم الرحيل – لم يلبث أن جاء نعيه [٩٥] .

وليس فيما لدينا من ديوانه المجموع شعر يدل على طول إقامته ، وبعضه فى مدح عبد العزيز [٩٦] ، وبعضه – وقد شك فيه أحد الباحثين [٩٧] – فى رثاء نفسه قبيل الموت [٩٨] ، ودالية يتغزل فيها [٩٩] ، وقافيه على الاحتمال [١٠٠] .

ومن غريب أن يعده بعض الدارسين – وهو الذى لم يطل مكثه على ما رجحت ، وليس فيما بين أيدينا ما يدل على أنه كان ينوى الإقامة الدائمة بها ، ومن قبل كان قد رحل إلى اليمن وإلى الشام رحلات مشابهة – شاعراً مستوطناً ، لا وافداً كسائر الوافدين [١٠١] .

---

٩١ – ديوان جميل – ت . د حسين نصار (مكتبة مصر – القاهرة سنة ١٩٧٩م) ص ٥ مقدمة .

٩٢ – وهو ما أخذ به الدكتور حسين نصار فى مقدمة تحقيقه للديوان ، والماحى وخفاجى فى كتابهما « شعراء مصر » ص ٣٤ ، والدكتور محمد كامل حسين فى كتابه « أدبنا فى عصر الولاة » ص ١٢٥ ، والدكتور عبد الرزاق حميدة فى كتابه « الأدب العربى فى مصر من الفتح الإسلامى إلى الفاطميين » ص ١٥٣ .

٩٣ – جـ٨ ص ٢٨٩٨ : ٢٩٠٠ . وصدرها فيه : « أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وحبيب بن نصر المهلبى قالا : حدثنا عمر بن شبة قال ذكر أيوب بن عباية قال : . . . » .

٩٤ – جـ٢ ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

٩٥ – ونص العبارة كما جاءت فى هذه الرواية : « . . . فتحدثنا ساعة ، ثم ودعنا وشخص ، فلم تطل غيبته أن جاءنا نعيه » .

٩٦ – ديوان جميل – ت . د . حسين نصار – ص ١٦٨ .

٩٧ – الدكتور إبراهيم الدسوقى جاد الرب فى كتابه « شعر البيئة المصرية حتى سنة ١٣٢هـ» ص ٤٣ ، ١٦٢ ، ١٦٥ .

٩٨ – ديوان جميل – ت . د . حسين نصار – ص ١٨٤ .

٩٩ – المصدر نفسه ص ٦١ .

١٠٠ – المصدر نفسه ص ١٤٥ .

١٠١ – شعر البيئة المصرية حتى سنة ١٣٢ هـ – ص ١٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٦ .

وقد يصح أن عبد العزيز وهبه منزلاً ينزل فيه وأحسن جائزته [١٠٢] ، وقد يصح كذلك أنه مات فى مصر ، وإن كانت هناك أخبار تدل على اتصاله بالوليد بن عبد الملك [١٠٣] ، ووفوده على عمر بن عبد العزيز [١٠٤] ، وموته - وقد صرحت الرواية بذلك وهى عن الزبير ابن بكار - بالشام [١٠٥] ، وجعل الذهبى وفاته - وهم يُفهم ضمناً من وضعه فى الطبقة العاشرة - فى العقد الأخير من القرن الأول ما بين سنتى إحدى وتسعين ومئة للهجرة ، إلا أنه لم يكن - فيما أرى - مستوطناً بحال ، ولا يمكن عده شاعراً مصرياً - وقد صرحت الروايات بأنه لم يمكث فيها إلا قليلاً كما ذكرت - لمجرد أنه - وهو أمر مشكوك فيه - قد مات بها ، أو أن الأمير قد وهبه - ولطالما وهب غيره من الغرباء - منزلاً ينزل فيه ، على أن الخبر نفسه - ولم يذكر إلا فى مراجع متأخرة - قد يحتاج إلى تحقيق .

ويرتبط رحيل جميل إلى مصر بمجموعة من الأسباب ؛ منها - فيما أرى - قصة حبه ، وقد آلت إلى ما آلت إليه من العداوة والصراع بينه وبين أهلها - بعد زواجها من غيره - وإهدار السلطان دمه ، فنراه يرحل أولاً إلى اليمن ، ثم يُعْزل هذا السلطان وينتجع آله وآل بثينة ناحية الشام ، فيلحق بهم [١٠٦] . ثم يرحل إلى الشام [١٠٧] - وقد نصحه أبوه وذوو ثقته بالسلو عنها والنسيان ووعدهم بعدم التعرض لها [١٠٨] - وتطول إقامته هناك [١٠٩] . ثم يعود ثانية ، وتراسله بثينة « مع بعض نساء الحى تذكر شوقها إليه ، ووجدها به ، وطلبها للحيلة فى لقائه » ، وتواعده موضعاً يلتقيان فيه ، فيسير إليها ويحدثها طويلاً ويخبرها خبره بعدها ، ويهجم أبوها وأخوها - وكانا قد اقتصا أثرها - عليهما ، فينتضى سيفه ويواجههما [١١٠] . وتعود العلاقة - بينه وبين آلها - سيرتها الأولى ، فيعتزم الرحيل - هذه المرة ، وهى الثالثة - إلى مصر .

---

١٠٢ - أدبنا فى عصر الولاة ص ١٢٥ . الأدب العربى فى مصر من الفتح الإسلامى إلى الفاطميين ص ١٥٣ . شعراء مصر من الفتح الإسلامى إلى قيام الدولة الفاطمية ص ٣٤ .

١٠٣ - الأغانى (ط . الشعب) جـ٨ ص ٢٨٧٩ . نسب قريش ص ٦ . العمدة جـ١ ص ٨٢ .

١٠٤ - تاريخ الإسلام م٣ ص ١١٥ . العقد الفريد جـ١ ص ٢٨٤ .

١٠٥ - تاريخ الإسلام م٣ ص ١١٧ .

١٠٦ - الأغانى (ط . الشعب) جـ٨ ص ٢٨٧٠ .

١٠٧ - المصدر نفسه ص ٢٨٧٨ .

١٠٨ - المصدر نفسه ص ٢٨٧٥ ، ٢٨٧٦ .

١٠٩ - المصدر نفسه ص ٢٨٩١ .

١١٠ - المصدر نفسه والصحيفة .

وربما تكون بثينة قد سبقته - مع بعض أهلها - إليها - فيكون السبب على هذا النحو هو اللحاق بها ، لا الفرار منها كما ذكرنا أولاً - وفى شعره ما قد يدل عليه ؛ كقوله :

إذا حَلَّتْ بمصرَ وحَلَّ أهْلى بيَثْربَ بينَ آطامٍ ولُوبِ
مُجاورةً بمَسْكنها تَجيبا وما هى حين تسألُ من مُجيبِ
وأهْوَى الأرضِ عندى حيثُ حَلَّتْ بجَدْبٍ فى المنازلِ أو خَصيبِ [١١١]

وقوله فى قصيدة أخرى :

وقد حالَ أجْبالُ المُقطَّم دُونَها فذو النَّخْلِ من وادى نَطاةَ فتَعْنُقُ [١١٢]

على أننا لم نجد فى أخباره - وقد تعددت تراجمه - ما يدل عليه .

ثم هناك - سببا ثالثاً - الدافع المادى ، وهو أمر لا تنكره الأحداث ؛ حيث مدح - على غير عادته - عبد العزيز فأجزل مكافأته [١١٣] ، ولا الواقع ؛ حيث كان أبوه - وقد شاع ، لرواية أخرى ، أنه ذو مال وجاه [١١٤] - راعى غنم يرعى مع اليهود بتيماء مرتدياً شملة لا توارى استه [١١٥] .

وكان لبنى عذرة - من ناحية رابعة - علاقة وثيقة بمصر منذ القدم ؛ بحكم متاخمتها لها [١١٦] ، وقد حاول بعض الباحثين الوقوف على التأثير المتبادل بين الجانبين ، وانتهى إلى وجود آثار عربية - عن طريق هذه القبيلة ونحوها - فى الحضارة المصرية نفسها [١١٧] ، فلا غرابة إن قصدها جميل - كما قصدها غيره من أبناء قبيلته قبل الإسلام وبعده - وحل بها فى فترة من فترات الحياة .

٨ - كثير عزة : خزاعىٌّ من الحجاز ، و هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن [١١٨] ،

---

١١١ - ديوان جميل - ت . د . حسين نصار - ص ٣٥ .

١١٢ - المصدر نفسه ص ١٤٧ .

١١٣ - وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٦٧ .

١١٤ - الأغانى (ط . الشعب) جـ٨ ص ٢٨٧٥ .

١١٥ - الشعر والشعراء جـ١ ص ٤٣٥ .

١١٦ - لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية قبل الفتح العربى وبعده - د . عبد المجيد عابدين -ط١ (مطبعة الشبكشى بالأزهر - القاهرة سنة ١٩٦٤م) ص ٢٢ .

١١٧ - المرجع نفسه ص ١٩ : ٢٣ .

١١٨ - الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ ص ٣١٢٣ . طبقات فحول الشعراء جـ٢ ص ٥٣٤ . الشعر والشعراء جـ١ ص ٥٠٣ . تاريخ الإسلام م٣ ص ٣١٢ . سمط اللآلى جـ١ ص ٦١ . وفى العقد الفريد جـ٣ ص ٢٩٨ كناه « أبا عبد الرحمن » .

شيعيّ من الغلاة ؛ كان يقول بالرجعة وتناسخ الأرواح (١١٩) ، وكان الأمويون يعرفون عنه ذلك ، ويتغاضون – لما ذكرت – عن انتمائه – مذهبياً – لهؤلاء الخصوم ، وفى أخباره مع عبد الملك – وكان قد اتصل به بالشام ولزمه مدة – أنه كان يستحلفه – حين يريد أن يصدقه – بحق على (١٢٠) ، ولما قُتل يزيد بن المهلب بن أبى صفرة – فى السنة الثانية بعد المئة للهجرة، وكان قد خلع طاعة بنى مروان ودعا لنفسه وأطاعه أهل البصرة والأهواز وواسط ، فانتدب له يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة فانتصر عليه وقتله بالعقر – قال كثير – وقد بلغه مقتله – « ما أجلّ الخطب ! ضحى آل أبى سفيان بالدين يوم الطف ، وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر! ثم انتضحت عيناه باكياً . فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك ، فدعا به ، فلما دخل عليه قال : عليك لعنة الله ، أترابية وعصبية ؟ ! وجعل يضحك منه » (١٢١) .

وفى « الأغانى » لأبى الفرج « وكان آل مروان يعلمون بمذهبه ، فلا يغيرهم ذلك لجلالته فى أعينهم ولطف محله فى أنفسهم وعندهم » (١٢٢) . بل كانوا يجزلون له العطاء ، وكان يزيد بن عبد الملك يحكمه فى جائزته (١٢٣) – وقد افتتن بمديحه له – وكذلك فعل عبد العزيز مرة ، فسأله – وكان مُحَمَّقاً (١٢٤) – أن يجعله مكان ابن رمانة – كاتبه – فقال له : « ويلك، ذاك رجل كاتب وأنت شاعر » . فخرج وهو يتمتم ببيتين من الشعر (١٢٥) . وكان عبد الملك

---

١١٩ – الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ ص ٣١٣٢ ، ٣١٣٧ : ٣١٣٩ . الشعر والشعراء جـ١ ص ٥٠٣ ، ٥١٧ . تاريخ الإسلام م٣ ص ٣١٢ . العقد الفريد جـ٢ ص ٢١٩ ، ٢٢٠ . عيون الأخبار جـ٢ ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

١٢٠ – الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ ص ٣١٤١ ، ٣١٤٢ . الشعر والشعراء جـ١ ص ٥٠٩ .

١٢١ – الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ ص ٣١٤٢ .

١٢٢ – جـ٩ ص ٣١٢٤ .

١٢٣ – طبقات فحول الشعراء جـ٢ ص ٥٤٣ .

١٢٤ – ويدل على حمقه أنه « دخل يوماً على يزيد بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ما يعنى الشماخ بقوله :

إذا الأَرْطَى تَوَسَّدَ أَبْرَدَيْهِ ... خُدُودُ جَوَازِئٍ بالرَّمْلِ عِيْنِ

فقال يزيد : وما يضرنى ألا أعرف ما عنى هذا الأعرابى الجلف ! واستحمقه وأمر بإخراجه » . الشعر والشعراء جـ١ ص ٥٠٣ . البيان والتبيين جـ٢ ص ٢٥١ . طبقات فحول الشعراء جـ٢ ص ٥٤٣ ، ٥٤٤ .

١٢٥ – البيان والتبيين جـ٢ ص ٢٤١ .

يسميه « المُلَحِيّ » (١٢٦) - نسبة إلى الملح وهى النوادر - وكان - وفيه دلالة على مكانته ومكانة شعره عنده - يخرج شعره « إلى مؤدب ولده مختوماً يرويهم إياه ويرده » (١٢٧).

وتدل مدائحه - وهى كثيرة - ومراثيه لعبد العزيز ، أنه - وهو ما أفترضه ، وتؤيدنى القرائن فيه - قد وفد إلى مصر - فى عهده - عدة مرات ، وتتعدد - إن صح هذا الافتراض - من ثم الدوافع والأسباب ؛ فهناك العامل السياسى ؛ حيث أحكم الزبيريون قبضتهم على الحجاز ، وتعرض ابن الحنفية - وكان هوى كثير فيه - للسجن على يد عبد الله بن الزبير - وكان كثير سيء الرأى فيه ، وقد ساءت علاقته به بسبب تشيعه للهاشميين - وهم ابن الزبير - كما يقول الخبر - بإحراقه وجماعة معه من بنى هاشم ، لما بلغه أن المختار قد أرسل جيشاً - تحت قيادة أبى عبد الله الجدلى - لإنقاذه ، فوافى أبو عبد الله ساعة أضرمت النار عليهم ، واستنقذهم ، وأخرج ابن الحنفية عن جوار عبد الله بن الزبير (١٢٨) .

ولم يكن أمام كثير - والحال كذلك - إلا الخروج من الحجاز - بعد أن أخرج مولاه ، وخشى على نفسه أن يتعرض للأذى والقتل - ولم يكن أمامه - وهو الشيعى المتطرف - إلا بنو أمية - على ما بينهم وبين بنى هاشم - خصوم آل الزبير ، ومن يؤمل - ولديهم ما ليس لدى الشيعة فى وقته - فى الخلاص من الزبيريين على أيديهم ، فاتصل - من ثم - بعبد الملك وعبد العزيز ، وربما - وهو ما لا أملك دليلاً عليه - يكون قد اتخذ عبد العزيز - وهو أرحب بنى أمية صدراً وأوسعهم لمن كان على مثل حال كثير - طريقاً للوصول إلى عبد الملك ، ووسيلة إليه .

وهناك العامل المادى ؛ وكان كثير - كما جاء على لسان أم الحويرث - فقيراً ، لا يملك ما يؤهله - وقد قطع من العمر زمناً طويلاً ، وكانت عزة قد ماتت عنه - للزواج ؛ يقول الخبر : « تعشق كثير امرأة من بنى خزاعة يقال لها أم الحويرث ، فنسب بها ، وكرهت أن يسمع بها ويفضحها كما سمع بعزة ، فقالت له : **إنك رجل فقير ، لا مال لك** ، فابتغ مالاً يُعَفّى عليك ، ثم تعالى فاخطبنى كما يخطب الكرام » (١٢٩) . وهى امرأة من قومه ، لا واحدة من بنات الملوك أو الأمراء ، وقد خرج بسبب ذلك لليمن ، ومدح من أجل

---

١٢٦ - الأغانى (ط . الشعب) جـ ٢٠ ص ٧١٧١ .

١٢٧ - المصدر نفسه جـ٩ ص ٣١٤٣ . وحين سأله كثير : « كيف ترى شعرى يا أمير المؤمنين » ؟ قال : «أراه يسبق السحر ويغلب الشعر » .

١٢٨ - الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ ص ٣١٣٥ .

١٢٩ - المصدر نفسه ص ٣١٥٤ .

النوال(١٣٠) . ولا نستبعد أن يكون خروجه إلى عبد العزيز فى مصر قبلها - أو بعدها على تعدد المرات - من أجل الحصول على المال ، وتحقيق ما يحلم به مثله من الغنى والثراء . وقد اتصل بغير واحد من الخلفاء ومدحهم جميعاً - مخالفاً ما يعتقده فيهم على الحقيقة ، متذرعاً بـ « التقية » ونحوها - من أجل العطاء ، حتى وصف بأنه - وهو فى ذلك على النقيض من جميل - ناعت ملوك ، بل - على حد قول بعضهم - « ما قصد القصيد ولا نعت الملوك مثل كثير » (١٣١) ، وقول آخرين : « . . . ولم يدرك أحد فى مديح الملوك ما أدرك كثير»(١٣٢)، ويعنون بذلك ملوك بنى أمية .

ويبقى - فيما أظنه - دافع أخير يرتبط بعلاقته بـ « عزة » ؛ فهناك أخبار تدل على أنها كانت قد سبقته - مع بعض أهلها - إلى مصر ، فربما رحل خلفها ، أو بالأحرى من أجلها ، يدل على ذلك قوله - وقد اشتاق إليها بعد رحيلها عنه إلى مصر - :

سألتُ حكيماً أينَ صارتْ بها النَّوَى ... فخبَّرنى ما لا أُحِبُّ حَكِيمُ
أَجَدُّوا فأمَّا آلُ عَزَّةَ غدوةً ... فبانوا وأمّا واسطٌ فمُقيمُ
فما للنَّوى لا باركَ اللهُ فى النَّوى ... وعَهْدُ النَّوى عندَ المحبِّ ذَمِيمُ

. . . .

إذا بَرقَتْ نحو البُوَيْبِ سَحابَةٌ ... لعينيكَ منها لا تَجِفُّ سُجومُ
ولستُ براءٍ نحو مصرَ سَحابَةً ... وإنْ بَعُدَتْ إلا قَعَدْتُ أشِيمُ(١٣٣)

وقوله فىّ رثائها - وقد دخل مصر منصرفهم من جنازتها ، وهى على ما أرجح فى إحدى المرات المتأخرة - :

أقولُ ونضْوِى واقفٌ عندَ رَمْسِها ... عليكِ سلامُ اللهِ والعَيْنُ تَسفَحُ
فهذا فِراقُ الحَقِّ لا أنْ تُزيرَنى ... بلادَكِ فَتْلاءُ الذِّراعَيْنِ صَيْدَحُ
وقد كنتُ أبكى من فِراقِكِ حَيَّةً ... وأنتِ لعَمْرِى اليومَ أنْأى وأنْزَحُ(١٣٤)

---

١٣٠ - المصدر نفسه والصحيفة .

١٣١ - المصدر نفسه ص ٣١٢٥ .

١٣٢ - المصدر نفسه والصحيفة .

١٣٣ - ديوانه (ط . عدنان درويش) ص ٢٨٧ ، ٢٨٩ . والبويب مدخل أهل الحجاز إلى مصر .

١٣٤ - المصدر نفسه ص ٩١ .

وفى خبره - وقد ساقه أبو الفرج الأصفهانى مفصلاً - مع خَنْدَق الأسدى ، الذى تحول به - فيما يُظَنُّ - إلى الكيسانية والرفض « كان كثير قد سلطه الله يَنْسُب بعزة بنت عبد الله أحد بنى حاجب بن عبد الله بن غفار . قال : وكان نسوانهم قد لقينها وهى سائرة فى نسائهم فى الجلاء ، فى عام أصابت أهل تهامة فيه حَطْمة شديدة ، وكانت عزة من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن ، ولا والله ما رأى لها وجهاً قط ، إلا أنه استُهيم بها قلبه لما ذُكِرَ له عنها ، فلقيه رجال من الحى لما بلغهم ذلك عنه ، فقالوا له : إنك قد شهرت نفسك وشهرتنا وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك . قال : فإنى لا أذكرها بما تكرهون . **فخرجوا جالين إلى مصر فى** أعوام الجلاء ، فتبعهم على راحلته ، فزجروه ، فأبى إلا أن يلحقهم بنفسه . . . » (١٣٥) .

وعلى الرغم من أنهم قد حالوا بينه وبين الخروج معهم أو اللحاق بهم إلا أنه لا يمنع - وقد فشلت محاولة - أن يحاول أخرى ، وهو دليل على أنها قد رحلت - إن صح الخبر - إلى مصر .

وهناك أخبار أخرى نراه فيها وهو يودعها - بمضارب قومها بالحجاز - عند رحيله - وقد توترت العلاقة بينهما - إلى مصر (١٣٦) ، ونراه - ثالثة - يلتقى بها - وقد اشتاق لرؤيتها بعد طول مقام بمصر - منصرفه إلى الحجاز فى حين كانت هى قادمة - مع جماعة - إلى مصر (١٣٧) . وهى ليست أخبار متضاربة - كما قد يُظَنُّ - إذا وضعنا فى الاعتبار ما افترضته بداية ، وهو أنه لم يفد على عبد العزيز مرة واحدة ، وإنما وفد عليه - ربما - عدة مرات .

٩ - شعراء آخرون : ثمة طائفة أخرى من الشعراء - أغلبهم من المستوطنين - لا نكاد نجد لهم - فيما بين أيدينا من المصادر - ذكراً ، اللهم إلا نتفاً مبعثرة تتناثر هنا أو هناك ، ولا يتعدى الواحد منهم - فيما عثرت عليه - القطعة الواحدة - وهى غالباً من القطع القصار ، وقد لا تتعدى البيت والبيتين فى بعض الأحيان - ترتبط - ولولا ذلك لأغفلناها وأغفلنا صاحبها - بالبلاط .

ومن هؤلاء **سليمان بن أبان بن أبى حدير الأنصارى** - وترجع أصوله كما يدل عليه اللقب إلى الأنصار - وله فى عبد العزيز وابنه الأصبغ مرثية - لم أجد له غيرها - احتفظ لنا بها الكندى (١٣٨) - ونسب بعضها فى مصادر أخرى ؛ كحسن المحاضرة (١٣٩) ، وأنساب

---

١٣٥ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١٢ ص ٤٣٤٢ .

١٣٦ - المصدر نفسه جـ٩ ص ٣١٥٣ . الشعر والشعراء جـ١ ص ٥١٠ ، ٥١١ .

١٣٧ - الشعر والشعراء جـ١ ص ٥١١ ، ٥١٢ .

١٣٨ - ولاة مصر ص ٧٨ .

١٣٩ - جـ٢ ص ٨ . نسب البيت الأول فيه إلى عمر بن أبى الجدير العجلانى .

الأشراف (١٤٠) ، لآخرين غير سليمان - وهى تقع فى ستة أبيات . و فى « شعراء مصر »(١٤١) : « سليمان بن أبان الأنصارى : **من شعراء مصر** فى عهد عبد العزيز ، **اتصل به وتوثقت علاقته بأسرته** ، فلما توفى عبد العزيز وابنه الأصبغ سنة ٨٦ هـ قال سليمان بن أبان فى رثائهما : . . . . » . ثم أورد منها - نقلاً عن « ولاة مصر » - أربعة أبيات .

والمثلم البلوى ؛ وهو عبد الرحمن بن قطبة بن حبوط ؛ أحد بنى حزام بن شعل . ذكره الآمدى ، وأورد له أربعة أبيات قالها فى السباق الذى أجراه عبد العزيز بين الناس ، مفتخراً بسبق فرس قيس بن أوس - أحد أبناء قبيلته - ثم قال : « وله أشعار وأخبار فى قبيلة بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة » (١٤٢) . وهى من القبائل التى نزلت طائفة منها مصر - فى حركة الفتح - مع عمرو بن العاص ، وفى « در السحابة » للسيوطى : « قال ابن الربيع : ذكر ابن وزير أنه دخل مصر مع عمرو بن العاص من بلى ممن بايع تحت الشجرة مائة رجل ، والمقلل يقول : سبعون رجلاً » (١٤٣) . غير من نزلها من غير هؤلاء المبايعين .

وذو الشامة : محمد بن عمر - أو عمرو - بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، حفيد أخى عثمان بن عفان - رضى الله عنه - لأمه ، وكان جده الوليد من أشد المحرضين للثأر له، وله فى عثمان مراث حارة ، لا تخلو واحدة منها من الإثارة والتوثيب (١٤٤) . ولعل حفيده ذا الشامة قد ورث عنه ذلك الاتجاه نحو الرثاء ، فرثى عبد العزيز وابنه الأصبغ - تعبيراً عن الوفاء لهما بعد موتهما - فى بكاء حار وعاطفة ملتهبة متأججة . وقد احتفظ لنا الكندى - كعادته - بتسعة أبيات (١٤٥) - قد تشكل ، ولم أعثر على غيرها ، النص كاملاً ، وهى أطول ما وجدت لأحد شعراء هذه الطائفة من النصوص - وذكر الماحى وخفاجى خمسة أبيات

---

١٤٠ - ص ١٨٤ . وأورد الأبيات الثلاثة الأولى منها ونسبها إلى أبى بكر بن أبى جهم بن حذيفة العدوى .

١٤١ - ص ٢٦ .

١٤٢ - المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم - صححه وعلق عليه د / ف . كرنكو (دار الجيل - بيروت سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م) ص ٢٣٩ .

١٤٣ - در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة ص ١٣٨ .

١٤٤ - شعراء أمويون - د . نورى حمودى القيسى (المجمع العلمى العراقى - بغداد سنة ١٩٨٢م) جـ٣ ص ٤٢ ، ٥٥ ، ٥٨ (شعر الوليد بن عقبة) . شعر الرثاء والصراع السياسى والمذهبى ١ - فى صدر الإسلام - د . محمد أبو المجد على - ط١ (دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع - الإسكندرية سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م) ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

١٤٥ - ولاة مصر ص ٧٧ ، ٧٨ .

منها[١٤٦] ، وقالا فى تعريفهما له : « ذو الشامة بن عمرو : من الشعراء الذين اتصلوا بعبد العزيز بن مروان وأكثروا من مدحه » [١٤٧] . ولم يسوقا من مدائحه – التى زعما أنها كثيرة – شيئاً ، ولم أجد فى مصادره شيئاً منها .

وكريب بن مخلد الجيشانى [١٤٨] ، وله فى حمام زبان بن عبد العزيز الذى يقال له حمام أبى مرة بيتان [١٤٩] . **وزهير بن قيس البلوى** ، وهو – كالمثلم – من بلى ، وقد تردد ذكره فى الصراع الذى دار بين المروانيين والزبيريين أثناء فتح – أو استرداد – مروان لمصر ، وكان قائداً للجيش الذى التقى بعبد العزيز عند عقبة أيلة ببصاق ، وحالف النصر عبد العزيز، فقال زهير – بعدها – بيتين فى مدحه ، ولعله – على حد قول الأستاذ محمود مصطفى – « قد انضم إليه » [١٥٠] ، إلا أن البيتين – وقد نسبهما الكندى إليه [١٥١] ، وتابعه على ذلك الباحثون [١٥٢] – ينسبان فى « معجم البلدان » [١٥٣] إلى نصيب ، فيكون ذكر زهير – لهذا كله على الاحتمال .

وهناك شعراء آخرون لم نعرف عنهم غير الاسم [١٥٤] ، وهم – فيما يفترض – من شعراء البلاط ؛ **كإسحق الأعرج** – مولى عبد العزيز بن مروان – ذكره المرزبانى فى

---

١٤٦ – شعراء مصر من الفتح الإسلامى إلى قيام الدولة الفاطمية ص ٢٦ .

١٤٧ – المرجع نفسه والصحيفة .

١٤٨ – جعله الماحى وخفاجى (شعراء مصر ص ٣٩) من شعراء القرن الثانى ، وقالا فى البيتين اللذين أنشأهما فى وصف ذلك الحمام إنهما من قبيل البكاء على ما هدم فيه – وكان فيه تمثال أمر يزيد بن عبد الملك بهدمه سنة ١٠٤هـ مع غيره من التماثيل – وليس فى الكندى – مصدرهما – ما يدل عليه . والبيتان لا يتعديان – فى رأيى – دائرة الوصف ، وهو ما ينسجم مع وجود الحمام على صورته التى كان عليها – فى عهد عبد العزيز – قبل هدمه فى عهد الوالى الذى جاء بعده بأمر من الخليفة يزيد .

١٤٩ – فتوح مصر والمغرب ص ١٤٠ ، ١٤١ . ولاة مصر ص ٩٣ .

١٥٠ – الأدب العربى فى مصر من الفتح الإسلامى إلى نهاية العصر الأموى ص ٥٤ .

١٥١ – ولاة مصر ص ٦٦ .

١٥٢ – محمود مصطفى (الأدب العربى فى مصر ص ٥٤) وإبراهيم الدسوقى جاد الرب (شعر البيئة المصرية ص ٧١) والماحى وخفاجى (شعراء مصر ص ٢٧) .

١٥٣ – جـ١ ص ٤١٣ .

١٥٤ – أعنى بذلك أنهم – مع احتمال اتصالهم ببلاط عبد العزيز – ليس لهم فيما اطلعت عليه من المصادر شعر يتعلق به ، وإن كان لهم شعر فى غيره .

««الموشح»[١٥٥] ، وقدامة فى « نقد الشعر » [١٥٦] . **وسعيد بن شريح** - مولى تجيب - وكان منقطعاً إلى زبان بن عبـد العزيز بن مروان [١٥٧] . **وعمران بن عبد الرحـمن بن شرحبيل بن حسنة** ؛ حليف بنى زهرة ، وهو الذى ولاه عبد الله بن عـبد الملك سنة ست وثمانين - عقب توليه مصر بعـد عبد العزيز بن مروان - « الشرط » وجمع لـه بينها وبين « القضاء » [١٥٨] ، ثم سخط عليه فصرفه عنهما وسجنه فى صفر سنة تسع وثمانين [١٥٩] .

أما **ابن أبى زمزمة** - زرعة بن سعد الله بن أبى زمزمة الخشنى - فكان - على ما يبدو - موالياً للزبيريين ، وله شعـر فى قتال ابن جحدم لمروان [١٦٠] ، ثم تسكت عنه المصـادر طيلة ولاية عبد العـزيز ، لتورد له شعراً فى هجـاء عبد الله بن عبد الملـك حين غلت الأسعار فى عهده وتشاءم منه المصريون [١٦١] ، ويبدو أن ولاءه للزبيريين - إن صح - ومـوقفه المضاد من بنى أمية - كـما يعكس شعره قبل ولاية عـبد العزيز وبعدها - كـان حائلاً بينه وبين الاتصال ببلاط عبد العزيز والانضمام إلى شعرائه .

ويصح ذلك أيضاً على **زياد بن قائد اللخمى** راثى الأكدر بن حـمام [١٦٢] - سيد لخم وشيخها ، وقد قتله مروان لعـدم إعطائه البيعة له وإصراره على الولاء لابن الزبير ، وهو أحد الفاتحين مع جيش عمرو بن العاص لمصر ، وكـان ممن سار إلى عثمان رضى الله عنه - وكان لقتل الأكـدر - وهو من هو منزلة ومكانة فى قـبيلة زياد ، وبينهـما أواصر قـربى - على يد المروانيين دور فى موقفه المضاد - فيما بعد - من عـبد العزيز وعدم انضمامه إلى من انضم إليه من الشعراء .

---

١٥٥ - ص ٢٨٧ .
١٥٦ - ص ١٩٧ .
١٥٧ - ولاة مصر ص ١٠٩ ، ١١٠ .
١٥٨ - المصدر نفسه ص ٧٩ .
١٥٩ - المصدر نفسه ص ٨١ .
١٦٠ - المصدر نفسه ص ٦٥ .
١٦١ - المصدر نفسه ص ٨٠ .
١٦٢ - المصدر نفسه ص ٦٨ .

٣

الشعر

(تداخل النسبة - الشك والتوثيق - تعرض بعضه للفقد - المدح والرثاء -موضوعات أخرى - ظلال سياسية - آثار مصرية)

١ - تتداخل النسبة فى بعض الأحيان ؛ فقد ينسب النص فى مصدر إلى شاعر من شعراء البلاط ، ثم ينسب - أو بعض أبيات منه - فى مصدر آخر إلى غيره - سواء ممن ينتمون إلى البلاط أو آخرين غيرهم - بل قد ينسب أحياناً - بتعدد المصادر - إلى أكثر من شاعرين ؛ فرائية سليمان بن أبان بن أبى حدير الأنصارى فى رثاء عبد العزيز وولده - وقد نسبها له الكندى دونما شك فى نسبتها إليه [١] - ينسب البيت الأول منها - وقد جاء منفرداً - إلى عمر بن أبى الجدير العجلانى فى « حسن المحاضرة » للسيوطى [٢] ، بينما ينسب البلاذرى - فى « أنساب الأشراف » [٣] - الأبيات الثلاثة الأولى منها إلى أبى بكر بن أبى جهم بن حذيفة العدوى .

ورائية نصيب (غامرة) فى مدح عبد العزيز - وقد نسبها له ابن قتيبة [٤] وأبو الفرج الأصفهانى [٥] والزجاجى [٦] - تنسب فى « ديوان المعانى » [٧] - بنصها ، مع اختلاف كلمة واحدة - لعمران بن عصام ، إلا أنه قال فى صدرها : « ويروى لنصيب » . ونسبها الجاحظ فى « البخلاء » [٨] لعمران بن عصام هذا ، وحُرِّفَ اسمه فى « ألف باء » [٩] إلى عمرو بن عصام . أما ابن دريد فقد نسبها فى أماليه [١٠] إلى الأقيبل القينى ، ثم قال : « وتروى لنصيب » . وهى فى « طراز المجالس » [١١] لأيمن بن خريم . وإذن فقد نسبت - فيما اطلعت عليه - إلى أربعة شعراء ، مع اعتبار « عمرو بن عصام » هو نفسه « عمران بن عصام» .

---

١ - المصدر نفسه ص ٧٨ .

٢ - جـ٢ ص ٨ .

٣ - ص ١٨٤ .

٤ - الشعر والشعراء جـ١ ص ٤١٢ . عيون الأخبار جـ٢ ص ١٩٠ .

٥ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٣٣ .

٦ - أمالى الزجاجى ص ٣٢ .

٧ - جـ١ ص ٣٣ .

٨ - ص ٢٢٠ .

٩ - جـ١ ص ٣٨٢ .

١٠ - ص ٢٦٠ رقم ٣٤١ .

١١ - ص ٩٩ .

ومما يتنازعه شاعران - وكلاهما من شعراء البلاط - القافية (تخالقه) ؛ أوردها المبرد فى « الكامل » (١٢) - البيت الأول والثانى منها - دونما نسبة ، وقال الأخفش مستدركاً : «الشعر لنصيب ، وقيل لكثير ، والأول أثبت » فرجح نسبتها لنصيب ، أما ابن قتيبة فقد أوردها كاملة - مع زيادة بيت ، هو البيت الثالث - على ما جاء فى الكامل - ونسبها - دونما شك - لنصيب (١٣) ، وأما صاحب اللسان فقد نسبها - الأول والثانى منها - لكثير (١٤) .

وثمة بيتان آخران يتنازعهما كذلك هذان الشاعرن ، وهما مما قيل فى مرض عبد العزيز رجاء البرء وإدخال المسرة عليه ؛ فقد نسبا فى « فتوح مصروالمغرب » (١٥) - داخل خبر - لنصيب ، ونسبا - مع الخبر نفسه - فى « الشعر والشعراء » (١٦) و « العقد الفريد » (١٧) لكثير ، وجاءا فى « عيون الأخبار » (١٨) - مع الخبر نفسه إلا أنه جعله فى حضرة عبد الملك واستبدله بعبد العزيز - منسوبين كذلك لكثير .

وفى ديوان الأحوص بيتان - جاء كل منهما منفرداً - أحدهما (المكرم) (١٩) ، وهو من قصيدة طويلة لكثير (٢٠) ، والآخر (معزب) (٢١) ، نسبه أبو الفرج - مع أبيات أخرى - لنصيب (٢٢) . وتبقى نصوص أخرى - و هى فى الحق قليلة - مجهولة ، لا يعرف لها قائل على وجه التحديد ، ومنها البيتان اللذان قيلا فى جفنات عبد العزيز (٢٣) .

ويثار الشك حول طائفة ثالثة من النصوص ، يتعلق أكثرها بجميل ، وشعره فى جملته

---

١٢ - ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

١٣ - الشعر والشعراء جـ١ ص ٥١٦ .

١٤ - لسان العرب (ط . دار المعارف) م٥ ص ٣٤٦٠ مادة (فلذ) .

١٥ - ص ٢٦٥ .

١٦ - جـ١ ص ٥١٦ .

١٧ - جـ٢ ص ٢٥٢ .

١٨ - جـ٣ ص ٥٠ .

١٩ - شعر الأحوص الأنصارى - ت . عادل سليمان جمال - ص ١٩٩ (رقم ١٥٠) .

٢٠ - ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٣٠٨ .

٢١ - شعر الأحوص الأنصارى - ت . عادل سليمان جمال - ص ٢١٤ القسم الثانى (رقم ٧) .

٢٢ - الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ ص ٣١٦٤ .

٢٣ - ولاة مصر ص ٧٣ .

- إن لم يتعد الأمر إلى شخصيته - كان مثار جدل عند جماعة من الباحثين [٢٤] ؛ فالدالية - إن صح نسبتها إلى البلاط - وهى قصيدة طويلة تندرج تحت الغزل ، ينسحب عليها ما ينسحب - فى رأى نيكلسون - على سائر غزله من شك ؛ فهو - حسب تعبيره - « إلى حد كبير ذو أصل شعبى » [٢٥] .

واللامية فى مدح عبد العزيز - وقد رواها ابن سلام فى طبقاته [٢٦] ، وأورد أبياتاً منها ابن رشيق [٢٧] - يسبقها فى « العمدة » : « وهكذا يروى عن جميل بن عبد الله بن معمر أنه ما مدح أحداً قط إلا ذويه وقراباته . . . وزعم محمد بن سلام الجمحى أنه مدح عبد العزيز ابن مروان بقوله فى شعره : . . . . » . فهو ينقل إذن عن ابن سلام ، وقوله « زعم » قد يعكس من بعض الوجوه عدم اطمئنانه - أو شكه - فى نسبتها لجميل ، ويدعم شكه بتلك المقولة ؛ وهى أنه « ما مدح أحداً قط إلا ذويه وقراباته » - وإن صدرها بـ « يُرْوَى » وهى أقرب إلى الاحتمال منها إلى الجزم - ولم يكن جميل من أقارب عبد العزيز - كما هو معلوم - ولا من ذويه ، ويذكر - على سبيل التعضيد والاستدلال - قصته مع الوليد بن عبد الملك ؛ حين صحبه فى سفر ، وأمره - وقد ظن أنه سوف يمدحه - أن يرجز به ، فأنشأ يقول :

أنا جميلُ فى السَّنَـامِ من مَعَـدْ　　　فى الذِّرْوةِ العلياءِ والرُّكْنِ الأَشَدْ

وفيها - وقد أوردها الديوان كاملة [٢٨] - يفخر بنفسه ، ولا يمدح الوليد من قريب أو بعيد ، حتى قال له متضجراً : « اركب لا حملت » . وشبيه بها قصته مع مروان وقد خرج معه - وإن لم يذكرها ابن رشيق - فى سفر أو حج [٢٩] .

ورثاؤه لنفسه - وقد جاء فى سياق قصتين احتفظ لنا بهما كتاب « الأغانى » [٣٠] -

---

٢٤ - ديوان جميل - ت . د . حسين نصار - ص ١٠ مقدمة . تاريخ الأدب العربى لبروكلمان جـ١ ص ١٩٩ . تاريخ الأدب العربى فى الجاهلية وصدر الإسلام لنيكلسون ص ٣٥٥ . شعر البيئة المصرية حتى سنة ١٣٢ هـ - ص ١٨ ، ٢٨ .

٢٥ - تاريخ الأدب العربى فى الجاهلية وصدر الإسلام ص ٣٥٥ .

٢٦ - جـ٢ ص ٦٧٣ : ٦٧٥ .

٢٧ - العمدة جـ١ ص ٨٣ ، ٨٤ .

٢٨ - ص ٥٦ ، ٥٧ .

٢٩ - الأغانى (ط . الشعب) جـ٨ ص ٢٨٧٨ ، ٢٨٧٩ ، جـ٢٦ ص ٨٨٦٠ . ديوان جميل - ت . د. حسين نصار ص ١٩٧ .

٣٠ - جـ٨ ص ٢٨٩٨ : ٢٩٠٠ .

يسبقه فى رواية « **فزعموا** أنه قال حين حضرته الوفـاة » ، على ما فى « الزعم » من معنى الادعاء ، وهو مـا فهمـه الدكتور إبراهيم الدسـوقى جاد الرب ؛ حين ذهب إلى أن القـصتين -اللتين جاءت فى سياقهمـا الأبيات - « تبدوان من بنات الخيال » (٣١) ، وأن العبارة المذكورة « قد تكون ختـام القصة الأولى ، وقد تكون لأبى الفـرج عبر بها عن شكه فى نسـبة الأبيات لجميل » ؛ لذا لم يتردد فى نفيها عنه ووضعها تحت ما أسماه بـ « مراث شعبية » ؛ تعبيراً عن وضع العامة لها ونحلها - فى قصة مختلقة - لجميل .

هذا عن جميل ، وفيما يتعلق بغيره فـهناك بيتان ينسبان مرة لزهير بن قيس (٣٢) ، ومرة أخرى لنصيب (٣٣)، ويعكر صفو نسبتهما لزهير - إضافة إلى نسبتهما فى مصادر أخرى لغيره - كونهما فى مدح عـبد العزيز - مع ما كان بينهما من الصراع - والفـخر بانتصاره العسكرى فى موقعة بصاق ، وكان زهير فى ذلك اليوم قائداً للجيش المهزوم ، فهل يمدح المهزوم خصمه ويفخر بانتصار ذلك الخصم عليه ؟ ! ويقدح فى صحة نسبـتهما لنصيب - مع نسبتهما كذلك لزهير - أن نصـيبـاً لم يكن قد اتصل فى ذلك الوقت - على مـا أرى - بعبـد العزيز ، ولم يعاصر الصراع بين المروانيين وجيوش ابن جحدم قبيل فتح المروانيين لمصر ، بينما عاصره زهير وكان طرفاً فيه .

لكن ينبغى ألا نبالغ فى ذلك كله ؛ فالنصوص التى يثـار حولها الشك قليلة بالقياس إلى غيـرها مما لم يثر حـوله أى نوع من الشكوك ، وهذا الذى نصنعه فى بدايـة هذا الجزء هو من قبيل الاحتراز ؛ وإلا فالنص الأخير قد يُقبل نسبته لنصيب - ولا يكون هناك مجال للشك إلا من ناحية التداخل ؛ تداخل النسبة ، وهو كثـير فى شعرنا القديم - إذا ذهبنا إلى أنه لم ينشده عقب انتصار عبد العزيز مبـاشرة فى معركة بصاق - ولم يكن إذ ذاك عنده - وإنما أنشدهما - وليس فى ملابسـات النص ما يمنع منه - بعد ذلك ، وفى النـص نفسه ما قـد يؤيده ؛ حيث يقول فى البيت الثانى :

قسرتَ الأُلى وَلَّوا عن الأمـرِ بَعْدما ... أرادوا عليـه فاعلمـنَّ اقْـتِسـارَكا

وقوله « ولوا عن الأمـر » - كنايةً عن الزبيريين - يدل على أن البـيتين قد قـيلا - فيـما أتصوره بعد انتهاء الصراع بين الطرفين لا أثناءه - ولا حـتى بعده بقليل - وماذا يمنع نصيباً من

---

٣١ -شعر البيئة المصرية حتى سنة ١٣٢ هـ - ص ٤٣ .

٣٢ - ولاة مصر ص ٦٦ . شعراء مصر من الفتح الإسلامى إلى قيام الدولة الفاطمية ص ٢٧ . الأدب العربى فى مصر من الفتح الإسلامى إلى نهاية العصر الأيوبى ص ٥٤ .

٣٣ - معجم البلدان جـ١ ص ٤١٣ .

ذكر ذلك اليوم - وإن لم يحضره - والتغنى بمجد ممدوحه فيه وكان حريصاً على تسجيل مآثره وتلك مأثرة لا تخفى على شعرائه ومقربيه ؟ ! .

وقد يصح نسبتهما لزهير - إن سلمنا جدلاً بنفيهما عن نصيب - فقد نسبهما الكندى له - وكتابه مصدر أصيل فى أدب مصر فى تلك الفترة - دونما تردد أوشك ، وفى الأخبار أن ابن جحدم - والى مصر قبل عبد العزيز ، ومن يدين له زهير بالولاء ، ويقاتل باسمه المروانيين خصومه - قد صانع مروان - حين أحس بالهزيمة وتيقن من قرب وقوعها - وهادنه - فى صلح ، مذكورة فى كتب التاريخ بنوده (٣٤) - على نفسه ، فلم لا يصانع زهير - وقد صانع مولاه - وقد هُزِمَ بالفعل و لم يعد أمامه غير المصانعة أو الموت ؟ ! .

وفيما يتعلق بجميل فقد بولغ - على ما ذهب إليه محقق ديوانه (٣٥) - فى الشك حول وجوده ، كما بولغ - من قبل بعض المستشرقين ومن ساروا على دربهم - فيما قاله من شعر، وتوسع نيكلسون على وجه خاص فى تلك المبالغة ؛ حين ربط بين غزله - جملةً - وما أسماه بالأصل الشعبى ؛ إشارة إلى إمكانية نسبته إلى العامة وإلى الخيال أو الوجدان الجمعى ونفيه بالتالى عن جميل دونما اعتبار إلى المصادر - وكثير منها موثوق به - التى جاء فيها أو الرواة-وفيهم رواة ثقاة - الذين تناقلوها ووصلت إلينا عن طريقهم فى مرحلة ما قبل التدوين. لقد أساء نيكلسون - على حد تعبير الدكتور إبراهيم الدسوقى جاد الرب - فهم ما جاء فى الجزء الأول من تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ؛ « فإن بروكلمان لم يتوسع فى ذلك الموضع من كتابه فى الشك فى نسبة الشعر إلى جميل ، ولهذا ذهب إلى أن قصصاً خيالياً يتعلق بحبه وغيره قد حيك حوله أغان شعبية » (٣٦) . ثم يقول : « لقد شك د . طه حسين فى شعر متهافت لجميل . . . على أساس فنى ، أما الدالية - وهى ما هى ؛ علو مستوى ، وشهرة، ونسبة - فلا يستقيم لنيكلسون الشك فى نسبتها إلى جميل » .

هذا عن الدالية الغزلية ، أما اللامية فقد نسبها ابن سلام - دونما تردد أو شك - لجميل، وأوردها كاملة فى طبقاته (٣٧) ، ولو كانت القصيدة مثار شك عنده - وهو ممن ينظرون إلى الشعر نظرة واعية ، ولديهم القدرة على التمييز بين الزائف منه والصحيح ، بل هو رائد من رواد التثبت والتحقيق فيما يرويه من الشعر القديم - لما تردد فى التصريح به ، ولذكر ذلك أثناء روايته لها أو أعرض عنها جملة كما أعرض عن غيرها من الشعر الموضوع .

---

٣٤ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزى - جـ٢ ص ٤٥٨ . ولاة مصر ص ٦٧ .

٣٥ - ديوان جميل . ت . د . حسين نصار - ص ١٠ مقدمة .

٣٦ - شعر البيئة المصرية حتى سنة ١٣٢ هـ - ص ٢٨ هـ ٤٤ .

٣٧ - طبقات فحول الشعراء - جـ٢ ص ٦٧٣ : ٦٧٥ .

ولا تعارض - في رأيي - بين نسبة هذه القصيدة - وهي مما مدح به عبد العزيز - وبين قولهم إنه لم يمدح أحداً قط ؛ فهذه العبارة جاءت في «الأغاني» على هذا النحو ، بينما أضاف ابن رشيق ذلك الاستثناء « إلا ذويه وقراباته » ، ولعلها قد قيلت على سبيل التغليب ؛ فهو ليس من شعراء المديح ، ولا ممن اتخذوا الشعر للتكسب به ككثير ، ولم يطرق - كغيره - أبواب الملوك ، لكن علاقته بعبد العزيز كانت فوق ذلك كله ؛ فلقد أكرمه الرجل وأحسن مثواه ، وأهداه داراً يقيم بها ، وأجزل جائزته وعطاءه ، فلا أقل من أن يعبر الشعر عن العرفان - لمثل ذلك الرجل - بالجميل ، ولعلها - أعني هذه الكلمة - قد قيلت - وليس هناك ما يمنع من ذلك أيضاً - قبل اتصاله - فتصح على هذا النحو - بعبد العزيز ؛ لأنه لم يتصل به - كما ذكرت قبلاً - إلا في أخريات حياته ، ومات - على الأصح - لديه .

وفي « وفيات الأعيان» [٣٨] - وهو ما ندعم به صحة مدحه لعبد العزيز - أن عبد العزيز قد سمع مدائحه وكافأه عليها ، فيجعلها - وإن لم يورد منها شيئاً مكتفياً بقوله في صدر ترجمته له : « وديوان شعره مشهور ، فلا حاجة إلى ذكر شيء منه » - مدائح لا مدحة واحدة ، وكان ديوان جميل - كما تدل عبارته - بين يديه حين أصدر هذا الحكم ، ولم يكن قد ضاع بعد وعز علينا - في العصر الحديث - الوقوف على ما كان فيه .

وأما المرثية - وهي لا تتعدى في أطول مصادرها أربعة الأبيات - فقد رواها - في إحدى القصتين - أبو الحسن الأسدي عن محمد بن القاسم عن الأصمعي عمن شهد جميلاً حين حضرته الوفاة بمصر ؛ ورواية الأصمعي لها - وإن كنا لا نعرف حال باقي الرجال الذين نقلوها عنه - مما ينبغي وضعه في الاعتبار ، وليس في روايته عبارة الاحتمال « زعموا » التي صدرت بها الأبيات في القصة الثانية ، وإنما فيها على الجزم : « ثم أنشدني هذه الأبيات»[٣٩] . وقد أوردها كذلك - دونما شك - ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » [٤٠] .

وهناك - قبل أن نختم هذه الفقرة - ملاحظة أخرى جديرة - وقد لَفَتُّ إليها من قبل - بالتسجيل ، وهي أن ما بين أيدينا من شعر لا يمثل - بطبيعة الحال - كل ما قيل في بلاط عبد العزيز ، وإنما هو - كما ذكرت - ما استطعت - بفضل جهود متواضعة ، وجهود باحثين سابقين - الوصول إليه . وهذه الفرضية لا تقف - لوجود قرائن دالة - عند حد الاحتمال ، وإنما تتحول إلى نتيجة يدعمها الشاهد والدليل ؛ فما بين أيدينا مما مدح به جميل بثينة عبد العزيز قصيدة واحدة ، بينما يذكر ابن خلكان [٤١] - وكان بين يديه ديوانه قبل أن يفقد أو

٣٨ - جـ ١ ص ٣٦٧ .

٣٩ - الأغاني (ط . الشعب) جـ٨ ص ٢٨٩٩ .

٤٠ - جـ١ ص ٤٤٢ .

٤١ - وفيات الأعيان جـ١ ص ٣٦٧ .

يضيع - أن له فى عبد العزيز - وقد ذكرته من قبل - مدائح - بصيغة الجمع - لا مدحة واحدة .

ويوصف مدح ابن قيس له - فى بعض المراجع [٤٢] - بأنه كثير جداً ، وما فى الديوان - المجموع حديثاً - لا يرقى بحال إلى هذا الوصف . ثم هؤلاء الشعراء الذين لم نسمع عنهم غير الاسم كإسحق الأعرج مولى عبد العزيز ، وليس - فيما توصلنا إليه - بيت واحد مما قاله- أو يحتمل بفضل هذه الصلة التى تربطه بعبد العزيز أن يكون قد قاله - فى بلاط مولاه كنصيب . ومثل هذا يقال عن آخرين كسعيد بن شريح - وكان منقطعاً - كما تصفه المصادر[٤٣] - إلى زبان بن عبد العزيز ، وعمران بن عبد الرحمن حفيد شرحبيل بن حسنة الصحابى الجليل [٤٤] .

٢ - يتصدر المدح قائمة الموضوعات فيما قيل من شعر فى بلاط عبد العزيز ، ثم يليه الرثاء وأكثره يتصل برثاء عبد العزيز نفسه أو من سبقه من أبنائه كالأصبغ الذى مات قبله بقليل . وطبيعى أن يكثر هذان الموضوعان ويتجه اهتمام الشعراء إليهما - على حساب غيرهما- ويلقيا بظلالهما على سائر الموضوعات ؛ لما يفرضه البلاط - أى بلاط - على المتصلين به من التقاليد التى ينبغى أن تراعى فى ظله ، وعلى رأسها أن يكون الاهتمام فى المقام الأول - أو فى أغلب الأحوال - بصاحبه ؛ لما قد يكون له - وهو المتحقق غالباً - من الأيادى والأفضال، وما يستتبعانه من الشكر ويستوجبانه من الثناء ، ولما قد يحتاج إليه - إن كانت له أطماع أو طموحات سياسية ، وكان عبد العزيز ولياً للعهد ، يهيئ نفسه مستقبلاً لأعلى المناصب السياسية على مستوى الأمة وقتها ، وهو الخلافة - من الدعاية والإعلام ، فيكثر - من ثم - المديح . ثم لما قد يكون له كذلك فى عنق هؤلاء الذين ساروا فى ركابه - أثناء حياته - بعد موته من حقوق الوفاء ، خاصة إن كانت علاقته بهم - كعلاقة عبد العزيز بشعرائه - قد تعدت دائرة النفعية - من الطرفين معاً - فلم تقف عند حدها وحدها ، وإنما تجاوزتها إلى دوائر أخرى ؛ كالأخوة - وهو ما يعترف به نصيب فى بعض شعره [٤٥] - والصداقة والموالاة، فيكثر كذلك الرثاء ، أما إن مات أحد ذويه قبله فهى فرصة لإظهار المودة - صادقة كانت أو كاذبة - وتوثيق العلائق ودعم المكانة وترسيخ الأقدام .

---

٤٢ - مثل : أدبنا فى عصر الولاة للدكتور محمد كامل حسين - ص ١٢٥ .

٤٣ - ولاة مصر ص ١٠٩ ، ١١٠ .

٤٤ - المصدر نفسه ص ٧٩ ، ٨١ .

٤٥ - المصدر نفسه ص ٧٩ .

وفى دائرة المدح يتقدم كـثير - من جهة الكثـرة - على غيره - فيمـا اطلعت عليه - من الشعراء ، وله فى عبد العزيز سبع مـدائح ؛ بائية - وهى (ارتغاب) - فى عشرين بيتاً [٤٦] ، وقافية (تخالقه) فـى أربعة عشر بيتاً [٤٧] ، ولاميـة - وهى (الغياطـل) - فى واحد وثلاثين بيتاً [٤٨] ، ولامية ثانية (بوال) تتكون من ثلاثة وعـشرين بيتاً [٤٩] ، وثالثة (موكل) فى ثمانية عشر بيتاً [٥٠] ، ورابعة (السبلا) فى بيتين [٥١] ، وميمية (تكلم) عدتها واحد وثلاثون [٥٢] .

وهذه المدائح التى قالها كثـير يمكن وصفها - إلى جانب الكثـرة - بالتوسط - من ناحية الطول - فهى - باسـتثناء واحدة ، ربما لم تصلنا كاملة ، تتكون من بيـتين - مما يتأرجح بين الأربعة عشر بيتاً والواحد والثلاثين ، بل يمكن وصفها - بالقياس إلى غيره - بالطول النسبى ، وقد جاوز أكثر من نصفها العشرين بيتاً ، وربت اثنتان من هذا النصف على الثلاثين .

ويوصف كثير - ولعل هذا ينسجم مع كثرة مدائحه لعبد العزيز وطول نفسه الشعرى فيها ويفـسرهمـا من بعض الوجـوه - بأنه « أمدحـهم للخلفـاء » [٥٣] ، وأنه كـان « يستقـصى المديح» [٥٤] ، وما قصد القصيد ولا نعت الملوك مثله [٥٥] ، فهو ناعت ملوك يكاد يصل فى نعته لهم حد الاحتراف .

---

٤٦ - ديوان كثير (ط . عدنان درويش) ص ٦١ . وبعضها بالموشح ص ١٩٠ وطبقات فحول الشعراء جـ٢ ص ٥٤٨ .

٤٧ - ديوان كثـير (ط . عـدنان درويش) ص ١٨٠ . وبعضـها فى الشـعر والشعـراء جـ١ ص ٥١٦ والكامل للمبرد ص ٣٠٩ ، ٣١٠ واللسان : مادة (فلذ) .

٤٨ - ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٢١٤ .

٤٩ - المصدر نفسه ص ٢٦٥ .

٥٠ - المصدر نفسه ص ٢٢٨ .

٥١ - المصدر نفسه ص ١٩٧ .

٥٢ - المصدر نفسه ص ٣٠٤ . وبعضهـا فى الشعر والشعراء جـ١ ص ١٤١ ، ١٤٥ . وتنسب له أبيات ثلاثة نونية فى العقـد الفريد جـ١ ص ٢٨٩ ، جـ٢ ص ٢١٩ ، وهى فى الديوان (ص ٣٣٩) من قصيـدة عدتها تسعة وعشرون بيتاً فى مدح عبد الملك ، ويدل السياق على صحة نسبتها لعبد الملك أكثر من عبد العزيز .

٥٣ - الموشح ص ١٩٠ .

٥٤ - الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ ص ٣١٢٦ . طـبقات فحول الشـعراء جـ٢ ص ٥٤٠ . تاريخ الإسلام م٣ ص ٣١٢ .

٥٥ - الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ ص ٣١٢٥ .

لكنه من جهة ثانية كان يلحن فى بعض مدائحه لعبد العزيز ولا يأبه لذلك [٥٦] ، بل كان يسخر - ربما - وهو الشيعى - المتعصب ، شديد التعصب لمذهبه - من آل مروان ؛ فيشبههم - وظاهر شعره الثناء - بالعقارب والحيات ، وقد لحظ ذلك عبد الملك نفسه ، فغضب عليه لقوله فى إحدى مدائحه لعبد العزيز :

وما زالتْ رُقاكَ تَسُلُّ ضِغْنى   وتُخرِجُ من مَكامنِها ضِبابى
ويَرْقينى لكَ الرّاقونَ حتّى   أجابَكَ حَيَّةٌ تحتَ الحِجابِ [٥٧]

وقال لعبد العزيز - فى رواية ثانية عن ابن دريد - : « ما مدحك ، إنما جعلك راقياً للحيات » [٥٨] . فذكر عبد العزيز ذلك لكثير ، فقال : « قد فعلها ، أما والله لأجعلنه حية ثم لا ينكر ذلك » وقال فيه :

يُقَلِّبُ عَيْنَىْ حَيَّةٍ بمَحارَةٍ   أضافَ إليها السّارياتِ سَبيلُها

فأعطاه عبد الملك وأحسن إليه [٥٩] . وفيه - أعنى هذا الخبر الأخير - « قال محمد بن على لكثير : تزعم أنك من شيعتنا وتمدح آل مروان ؟ قال : إنما أسخر منهم وأجعلهم حيات وعقارب ، وآخذ أموالهم » .

لكن لا ينبغى أن يفهم من هذا أنه كان يصدر فى كل مدائحه لعبد العزيز عن تلك الروح النفعية التى تطل من بعض جنباتها رءوس العداء ؛ فله فيه - وفى عبد الملك أخيه - ما بلغ من الجودة حداً لم ترق إليه مدائحه فى غيرهما وفيهم بعض شيعته وذويه ، وبسببهما - وقد استفرغ فيهما أكثر مدحه - وصف - كما ذكرت - بأنه « أمدحهم للخلفاء » وقيل فيه ما قد قيل .

بل يذهب عدنان درويش إلى أنه - وقد توالت قصائده فى مديح بنى أمية خلفاء وحكاماً، على حد قوله ، منذ أن هاجر من الحجاز إلى مصر ؛ لما لقيه عند عبد العزيز من حسن الضيافة والكرم - قد « أمن غدرات الزمن ، متناسياً حياته فى الحجاز وما لقيه فيها من دسائس وثورات ، متناسياً محمد بن الحنفية الذى طالما مدحه وتأثر به ، متناسياً تشيعه لأهل البيت ، متحولاً حتى بنسبه عندما قال له عبد الملك الحق بقومك من خزاعة ، فذهب كثير إلى أنه من كنانة قريش » [٦٠] .

---

٥٦ - الموشح ص ١٩٣ .

٥٧ - الموشح ص ١٩٠ . وهما من قصيدة بديوانه (ط . عدنان درويش) ص ٦٢ .

٥٨ - الموشح ص ١٩١ .

٥٩ - المصدر نفسه والصحيفة . والبيت من قصيدة بديوان كثير (ط عدنان درويش) ص ٢٥١ .

٦٠ - ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ١٤ مقدمة .

والأمر لم يبلغ - فى رأيى - بكثير حد تناسى تشيعه ، أو التنصل من الولاء لآل البيت والتحول - بقلبه وقالبه - للأمويين ؛ فقد ظل على تشيعه حتى أخريات حياته ، مؤمناً حتى بالمبادئ المتطرفة منها كالتناسخ والرجعة ، بقدر مايفسره - أعنى اتصاله بالأمويين وفيهم عبد العزيز - « التقية » - وهى من المبادئ الأساسية فى التشيع (٦١) - والرغبة فى علو المنزلة أو المكانة - وقد آل الأمر برمته للأمويين - والصلة والعطاء .

على أن علاقته بعبد العزيز قد بلغت حداً من الحب ، جعلته يدين له بالوفاء ؛ فيرثيه بعد موته بخمس مراث ، تتأرجح - طولاً وقصراً - بين البيتين والثمانية والثلاثين وهى - على التفصيل - تائية (صُمَّت) فى عشرين بيتاً (٦٢) ، ودالية (فعابد) أحد عشر بيتاً (٦٣) ، ورائية (منظر) أربعة أبيات (٦٤) ، ورائية أخرى (خدورها) فى ثمانية وثلاثين بيتاً (٦٥) ، ونونية (ثمن) فى بيتين (٦٦) .

وقيل إنه سكت عن الشعر بعده ، وظل على ذلك - طيلة خلافة الوليد بن عبد الملك وسليمان - حتى تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز فعاد مرة أخرى إليه (٦٧) . وقد سئل - وهو يبرز مدى وفائه لعبد العزيز وما كان يمثله بالنسبة له من محرك أو مثير لقول الشعر بصفة عامة وللمدح على وجه خاص - : « ما لك لا تقول الشعر ؟ أجبلت ؟ فقال : والله ما كان ذلك ، ولكن فقدت الشباب فما أطرب ، ورُزِئتُ عزة فما أنْسُب ، ومات ابن ليلى فما أرغب. يعنى عبد العزيز بن مروان » (٦٨) .

---

٦١ - حيث اعتبروها تسعة أعشار الدين ، وقالوا : لا دين لمن لا تقية له . شعر الرثاء والصراع السياسى والمذهبى فى العصر الأموى - د . محمد أبو المجد على - ط١ (دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع - الإسكندرية سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) ص ٩٧ .

٦٢ - ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٧١ . وبعضها فى البيان والتبيين جـ٣ ص ١١٢ .

٦٣ - ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٩٧ .

٦٤ - المصدر نفسه ص ١٣٣ .

٦٥ - المصدر نفسه ص ١٤٠ .

٦٦ - المصدر نفسه ص ٣٤٢ .

٦٧ - المصدر نفسه ص ١٥ ، ١٦ مقدمة .

٦٨ - الأمالى لأبى على القالى جـ١ ص ٥٤ . عيون الأخبار جـ٢ ص١٨٥ . العقد الفريد جـ٦ ص ١٥٢ . وفيه : « وقيل لكثير عزة : لم تركت الشعر ؟ قال : ذهب الشباب فما أعجب ، وماتت عزة فما أطرب، ومات ابن ليلى فما أرغب، يريد عبد العزيز بن مروان » .

وممن مدح عبد العزيز كذلك من شعراء بلاطه ورثاه - وهو يجيء من ناحية الكثرة بعد كثير - شاعره ومولاه ، الذى اصطنعه لنفسه واصطفاه ، نصيب - أو النصيب - بن رباح . وله فيه - مما أمكن الوصول إليه - خمس مدائح - أغلبها من النوع القصير - ثلاث خالصة له؛ وهى البائية (ومعزب) فى ثمانية أبيات (٦٩) - ولعلها أول ما مدحه به -والعينية (روائعه)- وفى « الأغانى » (٧٠) منها عشرة أبيات - واللامية (يقول) فى ثلاثة أبيات (٧١) ، واثنتان يشترك فيهما - من جهة النسبة- مع غيره ؛ الرائية (غـامرهْ) - ويشترك معه فى نسبتها إليه ثلاثة آخرون - فى خمسة أبيات (٧٢) ، والكافية (ذماركا) - وتنسب كذلك لزهير بن قيس - فى بيتين (٧٣) .

ويفسر هذه الكثرة - النسبية كذلك - طول إقامته فى البلاط ، والعلاقة الوثيقة التى كانت تربطه بعبد العزيز ، منذ افتك رقبته - أو ساعده على فكها - من ربقة الرق وضمه إليه مولى من مواليه وشاعراً من أقرب الشعراء منزلة لديه . ورثاه - وقد ظل على الوفاء له - بعد موته بمراث عديدة - أمكن الوصول إلى ثلاث منها - هي (المتأخر) فى ثمانية أبيات(٧٤) ، و(قِبَلُ) فى خمسة أبيات (٧٥) ، و(بكاهما) احتفظ الكندى منها بستة أبيات (٧٦) ، وذكر اليزيدى الأول منها مع ثلاثة أبيات أخرى (٧٧) ؛ ليصل طولها على هذا النحو إلى تسعة أبيات .

ثم يجيء ابن قيس - بعد كثير ونصيب - وله فى عبد العزيز أربع مدائح ؛ الأولى(لعبه) فى خمسة وعشرين بيتاً (٧٨) ، والثانية (رنق) فى أربعة عشر بيتاً (٧٩) ، والثالثة (أمما) فى ثمانية وثلاثين بيتاً (٨٠) ، والرابعة (فالثلم) - وقد جاء فى الطبعة الأولى للديوان أنها قيلت

---

٦٩ - الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ ص ٣١٦٤ : ٣١٦٦ .

٧٠ - جـ١ ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ . وهى كذلك بكتاب الأمالى لابن دريد ص ٩١ .

٧١ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٥٢ .

٧٢ - المصدر نفسه ص ٣٣٣ . الشعر والشعراء جـ١ ص ٤١٢ . ديوان المعانى جـ١ ص ٣٣ . أمالى ابن دريد ص ٢٦٠ .

٧٣ - ولاة مصر ص ٦٦ . معجم البلدان جـ١ ص ٤١٣ ، ٤١٤ .

٧٤ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .

٧٥ - المصدر نفسه ص ٣٦٠ ، ٣٦١ .

٧٦ - ولاة مصر ص ٧٨ ، ٧٩ .

٧٧ - الأمالى ص ٤٧ .

٧٨ - ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات - ت . د . محمد يوسف نجم - ص ١٢ .

٧٩ - المصدر نفسه ص ١٥٨ .

٨٠ - المصدر نفسه ص ١٥١ . وبعضها بالأغانى (ط . الشعب)جـ٥ ص ١٧٣١ ، ١٧٣٢ .

فى عبد الملك لا عبد العزيز - وعدتها ثلاثة وثلاثون [٨١] . وقد مات ابن قيس قبل عبدالعزيز، ولم يعش كما عاش السابقان حتى يرثيه ، بل لم تطل - فيما أظن - إقامته لديه؛ فقلت مدائحه عنهما ، وإن لم تفتقد صفة الطول النسبى .

ويلى هؤلاء الثلاثة الأحوص ، وله فيه مدحتان ؛ الأولى (نافع) فى تسعة عشر بيتاً[٨٢]، والثانية (فالجمد) فى تسعة وأربعين [٨٣] ،وهى ثانى المدائح - من جهة الطول - على الإطلاق فيما قيل فى عبد العزيز . وله بيت قائم بذاته [٨٤] ، يشترك فيه مع كثير [٨٥] .

أما باقى الشعراء فهم أصحاب الواحدة ؛ جميل وأيمن بن خريم وأمية بن أبى عائذ وعبد الله بن الحجاج وزهير بن قيس ومجهول ؛ فقد مدحه جميل بقصيدته اللامية - على ما قد يثار حولها من شك - وهى تقع فى تسعة أبيات [٨٦] ، وأيمن بن خريم وله فى مدحه بيتان[٨٧] ، وأمية بن أبى عائذ صاحب أطول مدحة فيه ؛ وهى النونية وتقع فى إحدى وخمسين بيتاً [٨٨] ، وعبد الله بن الحجاج وله فيه لامية عدتها سبعة أبيات [٨٩] ، وزهير بن قيس وليس له غير بيتين ، يشترك فيهما - من جهة النسبة - مع نصيب [٩٠] ، وآخر مجهول وله بيتان لم تُعرف بعدُ نسبتهما إلى أيٍّ من الشعراء [٩١] .

ورثاه سليمان بن أبان وذو الشامة ، وليس لكل منهما غير واحدة فى مجال الرثاء ؛ أما مرثية سليمان فرائية تتكون من ستة أبيات [٩٢] ، وأما مرثية ذى الشامة (مغروروقْ) فهى تجيء فى تسعة أبيات [٩٣] .

---

٨١ - ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات - ت . د . محمد يوسف نجم - ص ٧ .

٨٢ - شعر الأحوص الأنصارى - ت . عادل سليمان جمال - ص ١٤٥ . وأكثرها فى طبقات فحول الشعراء جـ٢ ص ٦٥٩ : ٦٦٣ .

٨٣ - شعر الأحوص الأنصارى - ت . عادل سليمان جمال - ص ٩١ .

٨٤ - المصدر نفسه ص ١٩٩ .

٨٥ - ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٣٠٨ .

٨٦ - ديوان جميل - ت . د حسين نصار - ص ١٦٨ . وهى كذلك فى طبقات فحول الشعراء جـ٢ ص ٦٧٣ والعمدة جـ١ ص ٨٤ .

٨٧ - ولاة مصر ص ٧٣ .

٨٨ - شرح أشعار الهذليين جـ٢ ص ٥١٥ . وبعضها فى الأغانى (ط . الشعب) جـ٢٧ ص ٩٤٤٤، ٩٤٤٥ وخزانة الأدب للبغدادى جـ٢ ص ٤٣٦ .

٨٩ - شعراء أمويون جـ١ ص ٣١٠ . الأغانى (ط . الشعب) جـ ١٣ ص ٤٦٨٢ .

٩٠ - ولاة مصر ص ٦٦ . معجم البلدان جـ١ ص ٤١٣ ، ٤١٤ .

٩١ - ولاة مصر ص ٧٣ .

٩٢ - المصدر نفسه ص ٧٨ .

٩٣ - المصدر نفسه ص ٧٧ ، ٧٨ .

ونراهم يحرصون فى مدائحهم له - وهو الملاحظ غالباً - على البناء التقليدى للقصيدة العربية ؛ فيمهدون بالنسيب - وقد يقفون عند الأطلال قبل ولوجهم فيه - ويستوجبون الحقوق بذكر الرحلة وما اعتورهم خلالها من المشاق ، ويصفون الراحلة فيما يشبه الاستطراد ، ثم يعدون عن ذلك إلى المديح . وقد يمزجون بينه وبين الفخر ، وقد تتخلله الحكمة والأمثال ، وقد يعرج بعضهم نحو الشكوى والعتاب ، إلا أنهم فى أحايين أخرى كانوا يخلصون المدحة للثناء .

وكان عبد العزيز ممدحاً ، وكانت فيه من الصفات العربية الأصيلة - وعلى رأسها الحلم والكرم وطيب الأصل وعراقة النسب - ما يؤهله لأن يتغنى به شعراء البلاط - كما تغنى الشعراء بعد بسيف الدولة فى حلب - ويصدرون عنه فى مدائحهم الكثيرة له ، إضافة إلى ما يتمثلونه عادة - وهو ما جرى عليه العرف منذ القدم - من الصورة المثلى للممدوح ، حيث يخلعون عليه صفات الكمال - على نحو قد بولغ فيه أو أضفى عليه الخيال ما أضفاه منتقلاً به من الواقع إلى المثال والنموذج المكتمل - فى حدود ما يرقى إليه الصفوة العليا من البشر .

فهو - عند أيمن بن خريم - قد استولى بفضله وكرمه على قلوب الناس وألبابهم ، فلم يعدلوا به - على كثرة ما مر بهم من الأمراء - أميراً ، وليس أدل على جوده من تلك القدور المعلنة - لا تتوارى ، ولا يمنع عنها أحد - الممتلئة باللحوم ، فما إن يفرغ ما بها حتى تلقم غيرها ، فلا ينفك عنها الامتلاء ولا تنفك عنه ؛يقول أيمن :

لا يَرْهَبُ النَّاسُ أنْ يَعْدلوا	بعبد العزيز بنِ لَيْلَى أميرا
تَرَى قِدْرَهُ مُعْلَناً بالفِناء	يُلَقَّمُ بعدَ الجَزُورِ الجَزُورا (٩٤)

ويحدد آخر تلك الجفنات ، فإذا هى ألف جفنة مترعة ، تمدها - على حد قوله - ألف قدر ، فما من يوم إلا كأنه - وقد صار ذلك الصنيع عملاً يومياً - يوم أضحى ، أو كأنه - فى ظلال ذلك الوالى الكريم - يوم فطر :

كلَّ يومٍ كأنَّهُ يومُ أَضْحَى	عندَ عبدِ العزيزِ أو يومُ فطرِ
وله ألفُ جَفْنَةٍ مُتْرَعاتٍ	كلَّ يومٍ تُمِدُّها ألفُ قِدْرِ (٩٥)

وليس العدد ههنا للتكثير - على عادتهم - أو المبالغة ؛ ففى كتاب « ولاة مصر » للكندى « قال ابن عُفير : كان لعبد العزيز ألف جفنة كل يوم يوم تنصب حول داره ، وكانت

٩٤ - المصدر نفسه ص ٧٣ .

٩٥ - المصدر نفسه والصحيفة .

له مئة جفنة يطاف بها على القبائل ، تحمل على العجَل إلى قبائل مصر » (٩٦) .

ويقف ابن قيس الرقيات عند تلك الجفنات - وقد صارت شيئاً لافتاً - فيصفها وقد امتلأت-حتى تفيض على الجنبات - بالشحم والودك - وهو ما يفهم من قوله « رذما » - فلئن فجع الدهر بالغر من آل أمية - فذهب منهم من ذهب كمعاوية ومروان -فلا يزال هنالك واحد يجتلون به الظلام - ويعني به عبد العزيز بالفسطاط - ويلوذون من المحن . يقول ابن قيس :

فُجِعَتْ بالغُرِّ من أُمَيَّةَ حا ... شا واحداً نَجْتَلي به الظُّلَما
أعْنِي ابنَ لَيْلَى عبدَ العزيزِ بِبا ... بِلْيُونَ تَغْدُو أجْفانُهُ رُذُما (٩٧)

ويشير في موضع آخر إلى اتساعها ، وإلى أنها لم تكن - كما أشار الشاعر السابق - عادة يومية فحسب ، وإنما هي تتوالى - كالخمر - صباح مساء ، ويقف عند الجماعات من الناس وهي تحيط بها ، وتتوالى - جماعة خلف جماعة - عليها ؛ فإذا ما ذهبت طائفة جاءت من بعدها أخرى ، فكيف لا يلذ بالعيش ويطيب له المقام في تلك الجنان ؟!

مَحَلٌّ قد نَحُلُّ به ... لَذِيذٌ عَيْشُهُ غَدِقُ
يَحُلُّ به ابنُ لَيْلى والنَّدَى والحِلْمُ والصِّدْقُ
تكونُ جِفانُهُ رَغَداً ... فَمَصْبُوحٌ ومُغْتَبَقُ
إذا ما أزْحَفَتْ رُفَقٌ ... أتتْ من دُونِها رُفَقُ (٩٨)

ويجمع له فيها مع الندى « الحلم » و « الصدق » . ويفصل نصيب - أو غيره - في معنى الكرم ؛ فبابه ألين الأبواب ، لا يوصد من دونه ولا يحول بينهم وبين الوصول إليه ، وداره مأهولة عامرة بالزائرين ، وكلبه - وقد اعتاد ارتياد الناس لتلك الدار - قد افتقد صفة التوحش المعروفة في غيره وصار آنس بالنازلين من الأم بابنتها - وقد حلت عليها بعد فترة زائرة - وكفه « أندى من الليلة الماطرة » ، فله - وقد ساق هذا كله للاستدلال - على رعيته - وغيرها - مِنن كثيرة ، أقل ما تستوجبها الثناء ، وأقل ما يستطيع تقديمه - باعتباره شاعراً - تلك الأبيات السائرة :

---

٩٦ - ولعل هذه القدور الألف كانت - كما ذهب إليه الدكتور إبراهيم الدسوقي جاد الرب في كتابه « شعر البيئة المصرية حتى سنة ١٣٢هـ» ص ١٥٥ - وجبة الجند ، والمائة التي يطاف بها على القبائل من قبيل الصدقة على المحتاجين والفقراء ؛ فلا يكون هناك إجحاف أو إسراف من عبد العزيز بمصر كما ذهب إليه -في كتابه « عصر الدول والإمارات : مصر والشام» ص ١٥ ، ١٦ - الدكتور شوقي صيف .

٩٧ - ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات - ت . د . محمد يوسف نجم - ص ١٥٢ .

٩٨ - المصدر نفسه ص ١٥٩ .

لعبدِ العـزيـزِ على قـوْمـه | وغـيـرهم مِنَنٌ غـامـرَةْ
فـبـابُكَ أَلْيَنُ أبوابِـهم | ودارُكَ مَـأْهُولـةٌ عـامـرَةْ
وكَلْبُكَ آنَسُ بالمُعْـتَـفِينَ | من الأمِّ بابْـنَتِـهـا الزَّائرهْ
وكَـفُّكَ حينَ تَرَى السَّائلينَ | أنْـدَى من الـلـيـلة المـاطـرَةْ
فـمنك الـعَطاءُ ومنَّا الـثَّناءُ | بكُلِّ مُـحَـبَّـرَةٍ سَـائره.(٩٩)

ويطول بنا المقام إذا رحنا نستـقصى كل ما قيل فى كرم عبد العـزيز وجوده ؛ وهى صفة من أهم صفاته ، ومن أبرز ما ذكره الشعراء فيه(١٠٠).

وكما داروا حول الكرم - شيمة من الشيم العربية الأصيلة فيه - داروا كذلك حول الحلم والحزم والشجاعة والبسالة والأنفة والإباء والدين والحسب ؛ فها هو ذا كثير عزة يقدم - بعد تمهيد طويل ، يقف خلاله على الأطلال ويصف الرحلة والراحلة - « شهادة عصر » ، يسجل له فيهـا - أول ما يسجل - تقوى الله واتبـاع سنن السابقين من السلف الصالح - كـما سوف يفعل من بعده ابنه عمر بن عبد العزيز - :

تزورُ امرءاً أمَّـا الإلـهَ فَـيتَّـقـى | وأمّا بفعلِ الصَّالحينَ فيأتَمى(١٠١)

ثم يشير إلى الجود ، وكيف يفوق نداه النيل - فى أقصى مده وارتفاعه - فلا يصل فيض هذا النهـر العظيم إلى جـزء من فيض عـطائه ، وكيف أنه لا يمنـع ما ادخـره عن كل طالب معروف ، غنياً كان أو كان من الفقراء المعدمين ، ثم يقول :

يَداكَ ربيعٌ يُنْتَـوَى فَـضْلُ سَـيْـبِـه | ووَجْـهُكَ بادى الخـيرِ للمُـتـوسِّمِ
لقـد أبْرزتْ منك الحوادثُ للعـدَى | على رَغْمِـهم ذَرِّىَّ عَضْبٍ مُـصَمِّمِ
وذى قَـونَسٍ يومـاً شكـكتَ لَبـانَهُ | بذى حُمَّـةٍ فى عاملِ الرُّمْـحِ لَهْذَمِ
وذى مَغْرَمٍ فَـرَّجْتَ عن لون وَجْهِه | صُـبـابَةَ ذى دَجْنٍ من الـهَمِّ مُظْلِمِ
وعـانٍ فككتَ الغُـلَّ عنه وكَـبْلَهُ | وقـد أندبـا منه بسـاقٍ ومِـعْـصَمِ
ولو وُزِنَتْ رَضْـوَى الجبال بحـلمه | لمالَ برَضْـوَى حِـلْمُـهُ ويَرَمْـرَمِ
من النَّفَـرِ البِيضِ الذين وُجُـوهُهم | دَنانيـرُ شِـيـفَتْ من هِرَقْلٍ برَوْسَمِ

---

٩٩ - الشعر والشعراء جـ١ ص ٤١٢ . الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٣٣ . ديوان المعانى جـ١ ص ٣٣ . أمالى ابن دريد ص ٢٦٠ .

١٠٠ - لا تكاد تخلو مدحـة من الحديث عن الكرم . انظر ديوان جمـيل ص ١٦٨ وديوان كثيـر (ط . عدنان درويش) ص ٦١ ، ١٨٠، ٢٥٨ ، ٣٠٤ وديوان عبيـد الله بن قيس الرقيات ص ١٢ وشـعراء أمويون ص ٣١٠ والأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٥٢ .

١٠١ - ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٣٠٦ .

وفيها يشير - إضافة إلى الكرم الظاهر فى تشبيه اليدين بالربيع ، وطلاقة الوجه والبشاشة فى لقاء المتـوسمين لسيبه وعطائـه - إلى صلابته ، وكيف أن الحوادث قـد أبرزت منه للأعداء سيفاً باتراً ، لا ينثنى كما تنثنى عند الشدائد العـيدان ، ويقدم ملمحاً له فى القتال وهو يصارع الفرسان تأكيداً لمعنى القوة والشجاعة فيه ، وآخر - فى السلم - وهو يفرج الكربات ، فيحمل عن المدين الذى أثقلتـه الديون والمغارم عبـئه ويؤدى عنه دينه فـيشرق وجـهه ويعود إليـه مرة أخرى، رونقه بـعد أن يكون اليأس قد غمـه وأهمه ، وضاقت - من دونه - سـبل الحياة . وذلك الأسير الذى ترك القـيد فى ساقه أثره ، من الندوب والجراح ، قـد فك عنه كبله وأعاد إليه - ولطالما صنع مثل ذلك مع غيره مناً وتفضـلاً - حريته لينعم من جديد بالحياة ، لقد بلغ من الحلم درجة تطيش - لو وزنت بها - مـعها الجبال ، وهو بعدُ ذو أصل عـريق ؛ فهو من أولئك « النفر البيض » - ومنهم قـد استمد تلك الصفات استـمداد الفرع من الأصل - الذين تشبه وجوههم الدنانير - صفاء ونقاء - من آل مروان - أصله القريب - أو قريش .

ويقف فى لاميتـه (الغياطل) عند خيـرية عبد العزيز فى قـومه ؛ فيجعلـه خيرهم على الإطلاق :

وأنتَ ابنَ لَيْلى خيرُ قَـوْمِكَ مَشْهَداً ... إذا ما احْمَارَّتْ بالعَبيطِ العَوامِلُ[١٠٢]

ويذكـر بعض مـلامحـه الجـسديـة ؛ ومنها الجـمـال - وهو له زين - وحـسن الملامح والقسمات :

جَميلُ المُحَـيَّا أبْلَجُ الوَجْهِ واضِحٌ ... حَليمٌ إذا مـا زَلْزَلَـتْـهُ الزَّلازِلُ

ويشير فى الشطرة الثانية إلى ما أشار إليه - فى قصيدته السابقة - من الحلم والأناة ، إلا أنه يجعلهما - وهو أقصى ما يصل الحلم إليـه - عند سورة الغضب ؛ حيث تشتد الأزمات ، أو تزلزله - على حد تعبيره - الزلازل ، ثم يضيف :

له حَـسَبٌ فى الحَـيِّ وارٍ زِنادُهُ ... عَـفارٌ ومَـرْخٌ حَـثَّهُ الوَرَىٰ عـاجِلُ
فـمَنْ يَنْبُ عَنِّى نَبْوةَ البُـخْلِ أو يُرِدْ ... لمعـروفـه صَـرْفـاً فـإنَّكَ باذِلُ
أُديرتْ حَـمـالاتُ المكارمِ كُلُّـهـا ... عليكَ فلم تَبْـخَلْ ففَضْـلُكَ شامِلُ
وأنتَ أبو ضَيْـفَينِ : ضَيْفٌ نَفَعْـتَهُ ... بنَفْـحَـةِ عُرْفٍ عـاجِلٍ فـهـو زائِلُ
وآخـرُ يَرْجُـو منكَ مـا نالَ قَـبْلَهُ ... أخـوه الذى جَـهَّـزْتَهُ فـهـو نازِلُ

وفيها يبرز حسبه ، فيجعله - وهو المعروف - كالزناد ؛ تتأجج ناره - وقد حثه الورى - من شجر المرخ والعـفار ، وكرمه فى البذل - حين يعـرض أهل البخل - والعطاء ، ومروءته فى تحمل الأعـباء والديات ، ويجعل منه - عـلى التفصـيل فى معنى الجود - أباً لضـيفين ؛

١٠٢ - المصدر نفسه ص ٢١٦ .

أحدهمـا قد عجل له - لأنه عـما قليل سوف يرحـل أو يفارق - بالعطية والإنعـام ، والآخر يتأهب - وقد رأى ما أنعم به على من جاء قبله - للحلول ، فلا ينقطع الضيف عنه ؛ ما بين راحل - وقد نال مـا جاء أو فـوق ما جاء له - وآت سـوف يدرك ما أدرك من جـاء قبله من سيب عبد العزيز ونداه .

لقد جمع عبد العزيز من الخلال ما يعجـز الآخرون عنه ويعوزهم لحمل الثقال المعجزات من المهام ، ولقد رحب صدره فلم يضق ذرعاً بها ولم يتأخر - أو يتذمر - عن حملها :

جمعتَ خـلالاً كلُّ مَنْ نالَ مثلَها ... لحملِ الـثِّقال المُضْـلعات حمـائلُ
رَحُبْتَ بهـا سَرْباً فأجـزأتَ كُلَّها ... بحفْظ فلم يَفْدَحْكَ ما أنتَ حاملُ

وفيه بعدُ « عزة » و«بسالة » واتزان عقـل وسرعة بديهة وصحة رأى ، وكان - ولا يزال - يرفض الذل والضيم ، ويصل ذوى القربى والمودة، وهو - فى نهايـة الأمر - السيد العريف - أو « الحلاحل » - والفتى القوى الشيظمى :

وفـيكَ ابنَ ليلى عـزَّةٌ وبَسـالَةٌ ... وغَـرْبٌ ومَـوْزُونٌ من الحِـلْمِ ثاقِلُ
أبَأْتَ الذى ولّـيتَ حـتى رَأبـتَـهُ ... وأنتَ لذى القُـرْبى وذى الوُدِّ واصِلُ
وإنَّكَ تَأبَى الضَّـيْـمَ فى كلِّ مَـوْطِنٍ ... قـديماً وأنـت الشَّـيْظَمِـىُّ الحُـلاحِلُ

ويكثف كثيـر خلال عبد العزيز فى بيتين اثنين يخـاطب فيهما - على التخـيل - شخصا متوهـماً ، أو - على الحقيـقة - كل من أراد - أو سولت له نفسـه - أن يبارى ذلك الرجل العظيم ؛ فلن يكون مثله ولن يصل إلى ما وصل إليه إلا إذا استطاع أن يجـمع ما قد تجمع فيه - بالفطرة - من الخـلال ، لقـد ربأ بنفسـه أن يَسُب - كـما يسب غـيـره - وتعالى بكمـاله -البـشرى - عن أن يُسَب ، فـما فى مـثله شىء يعاب ، وهو بعـدُ الكريم الذى لم يضن أو يبخل قط . يقول كثير :

يا أيُّهـا المُتَـمَنّـى أن يكونَ فـتًى ... مـثلَ ابنِ ليلى لـقـد خَلَّى لـكَ السُّـبُـلا
أعْـدُدْ ثلاثَ خـلالٍ قد جُـمِـعْنَ له ... هل سَبَّ من أحَدٍ أو سُبَّ أو بَخلا ؟(١٠٣)

ويعد الأحوص فضل عبد العزيز عليه ، فليس لأحد من يد عليه سواه :

ومـا مدحتُ سـوَى عـبدِ الـعزيزِ ومـا ... عندى لَحىُّ سوى عبد العزيز يَدُ (١٠٤)

لقد رآه - وقد أحاطت به عناية الله ورعايته - موفقاً ، يحالفه - حيث انتوى- الرشاد :

إنِّى رأيتُ ابنَ ليلـى وهو مُـصْطَنَعٌ ... مُوَفَّـقاً ، أمْرُهُ حيثُ انْتَـوَى رَشَدُ

أقام بهم - وقـد نبا من قـبله المقام - فـعمرت - بفـضل إقامـته - البلاد ، ولـقد أيقن

---

١٠٣ - المصدر نفسه ص ١٩٧ .

١٠٤ - شعر الأحوص الأنصارى - ت . عادل سليمان جمال - ص ٩٦ .

المجتدى من إدراك بغـيته لديه ؛ فسيـبه -كماء النيل - لا ينقصـه العطاء ، ولا يعتريه - مع شدة الجود - النفاد :

أقـــامَ بالنَّاسِ لَمَّـا انْ نَبَـا بـِهِـمُ — دونَ الإقامـةِ غَوْرُ الأرْضِ والنَّـجدُ
والمُجْـتَدى مُـوقنٌ أنْ ليسَ مُخْلِفَـهُ — سَيْبُ ابنِ ليلى الذى يَنْوى ويَعْتَمدُ
لو كـــانَ يَنْقُصُ مـــاءَ النِّيلِ نـائلُهُ — أمْسَى وقـد حانَ من جَمَّـاتِه نَفَدُ

فهـو يسيـر على ما قد سـار عليه آباؤه والأجـداد ، ويبنى على ما قد بنـوا من قبل من الأمجاد ، يحمى - كما تحمى الأسد - الذمار ، وتخشع لديه - من مهابته - الأبصار :

يَبْنِى علـى مَـجْـدٍ آباء له سَلَفُـوا — يَنْمَى لِمَنْ وَلَدُوا المَهْـدُ الذى مَهَـدُوا
يَحْمِـى ذمارَهُمُ فى كلِّ مُعْـظعَةٍ — كـما تَعَـرَّضَ دونَ الخِيـسَةِ الأسَـدُ
صَـقْرٌ إذا مَـعْشَـرٌ يَوْمـاً بَدَا لَهـمُ — من الأنامِ وإنْ عَـزُّوا وإنْ مَـجَـدُوا
رأيْتَـهم خُـشَّعَ الأبْصـارِ هَيْبَـتَـهُ — كمـا استكان لضَوْءِ الشَّـارِقُ الرَّمِدُ

وما دام الأمر كـذلك ، فلا أقل من أن يقطع على نفسه عـهداً ألا يمدح - وإن لم يلتزم بهذا العهد - ما عاش أحداً غيره :

متى مـا أقُلْ فى آخرِ الدَّهْرِ مِـدْحَةً — فمـا هِيَ إلا لابنِ ليلى المُكَرَّمِ(١٠٥)

ولعله - وقد جاء فى الديوان مفرداً - من جملة أبيات قد ضاعت ولم يصلنا منها سواه.

وفى إطار **الرثاء** ، وهو أنأى - فـيمـا أظن - عن التـملق والرياء ، وأقرب - عـادة - للصدق ، وأدل على الحب والوفاء ، نراهم يشفون - فى ندبه - عـن مدى الخسارة والفقد ، ولا يكتفون بالبكاء - أحر البكاء - والدموع الـغزار - وهو الطابع الغالب عند الصدمة الأولى - فيمزجون الندب بالتأبين وقد يصلون - فى أحايين قليلة - إلى حد العزاء .

وممن رثاه سليمان بن أبان ، وقد مزج فى رثائه له بين الندب والبكاء من ناحية ، والتأبين من ناحية ثانية . يقول سليمان :

أبَعْـــدَكَ يا عـبـــدَ العـزيزِ لِـحـادِثٍ — وبَعْدَ أبى زَبَّانَ يُسْتَعْتَبُ الدَّهْرُ ؟(١٠٦)

يتمثل له عبد العزيز - منذ اللحظة الأولى - شخـصاً يواجهه ، أو يقف بإزائه كما كان يقف - أثناء حيـاته - بين يديه ، ويتساءل هل بعد فـقدهم إياه وفقد الأصبـغ ابنه - وكان قد سبقه إلى الموت بستة عشر يوماً (١٠٧) - يستعـتب الدهر أو يطلب منه الرضا أو يعطاه ، ومن لهم - بعـد رحيله - لحوادث الزمن الجـسام ؟فـلا صلحت لغيـرهما - ولا سقـيت بماء النيل

---

١٠٥ - المصدر نفسه ص ١٩٩ .

١٠٦ - ولاة مصر ص ٧٨ .

١٠٧ - تاريخ الإسلام م٣ ص ٥٠ .

بعدهما - مصـر ، فأى معنى للبقاء ؟! وليجف النيل ، وليظل قـاعه - وقد بدا - يابساً ، لا يمده القطر ولا تسعفه بمائها السماء ، حتى يموت العصفور وتنضب - من حواليه - الحياة :

[فلا صَلُحَتْ مصرُ لحَىٍّ سواكما ... ولا سُقِيَتْ بالنِّيلِ بَعْدَكـما مصرُ]

ولا زالَ مَجْـراهُ من الأرضِ يابساً ... يموتُ به العُصْفُورُ وانْحَرَفَ القَطْرُ

فلا أحد - بعد عبد العزيز - « يبنى المكارم والـعلى » ، ولا أحد تهوى إليه الركبان طلباً للمعروف والنوال ، لقد كـان - ويتجه سليمان من ثم نحو التـأبين - « حليف العرف والخير والندى » ، فمـات كل أولئك بموته ، ولم يعد هناك أمل بعد - وقد بلغ بـه اليأس مداه - أو رجاء ينتفع به فى البقاء :

فـمَنْ ذا الذى يَبْنى المَكارمَ والعُلَى ... ومَنْ ذا الذى يَهْدَى له بَعْـدَكَ السَّفْرُ

فكنتَ حَليفَ العُرْفِ والخيرِ والنَّدَى ... فمـتَّنَ جمـيعـاً حينَ غَيَّـبَكَ القَـبْرُ

فـبَـعْـدَكَ لا يُرْجَى وَلِيـدٌ لِنَفْـعـةٍ ... وبَعْــدَكَ لا يُرْجَى عَـــوانٌ ولا بِكْرُ

ويرثيه ذو الشـامة - جامـعاً فى رثائه له بينه وبين ابنه الأصبغ كـذلك - بأبيات قافـية ، يبدؤها بالندب:

تقــولُ غَــــداةَ قَطَعْنـا الجـــفـــا ... رَ والعَـــيْنُ بالدَّمْـعِ مُـغْـــرَوْرِقَـــهْ

مَـــقــــالَ امْـــرِئٍ كـــارهٍ لـــلفــــرا ... قِ تاعَ الـبِـــــلادَ وباعَ الـرِّفَـــــهْ

وفـــــارَقَ إخْـــــوانَـهُ كُـــــارِهاً ... وأهْلَ الصَّــــفـــاءِ وأهلَ الثِّــــقَـــهْ

أَبَعْـــدَ الخليـفـــةِ عـبـد العـــزيزِ ... وبعـــدَ الأمـــيــــرِ كـــذا وابقَـــهْ

فـما مِـصْرُ لى بعـدَ عـبدِ العـزيزِ ... والأصْبَغِ الخـــيـرِ بالمُونـقَـه(١٠٨)

فلم تعد البلاد كما كانت ، وما عاد بعد شيء يغرى بالمقام ، وهل بعد مصابهم فى عبد العزيز والأصبغ من مصاب ؟! لقـد فارق - بفراقـه لهما - « إخـوانه » وخلصاءه ، و« أهل الثقة» و « أهل الصفاء » ، فكيف لا تغرورق العين بالدمع ولا تفيض بالبكاء ؟!

ثم ينتقل إلى التـأبين ، مقدمـاً - بطريقة غيـر مباشرة - سـبباً مقـنعاً لكل هذا البكاء ، ويلمس فى تأبينه لهما ما كانا يتمتعان به من تقوى وهدى - وهى شهادة لها قيمتها فيما يتعلق بتدينهمـا ، وأن ما كان عليه خامس الراشـدين عمر بن عبـد العزيز لم يأت من فراغ - ويصفهما - كما وصفهما قبل - بالثقة ، ويضيف إليها الوفاء :

إمـــــامَـىْ هُدًى وهَـــديَّىْ تُـقًى ... وأَهْلِ الوفـــــاءِ وأَهْلِ الثِّـــــقَـــهْ

ويدعو لهما - على طريقة القدماء - بالسقيا ، ذاكراً « الصَّدَى » فى معرض هذا الدعاء، و هو يمثل راسباً من الرواسب الجاهلية القديمة يتعلق بواحدة من المعتقدات التى ظل لها حضور

١٠٨ - ولاة مصر ص ٧٧ .

واضح فى الشعر الإسلامى ؛ أعنى الإيمان بوجود الصدى والهام :

سَقَى اللهُ قَبْرَيْهِما والصَّدَى ... وما جاوروا دِيْمَةٌ مُغْدِقَهْ

وتتعدد مراثى نصيب وكثير عزة فيه ، وفى رائيته (المتأخر) - وقد أنشدها عبدَ الملك حين دخل عليه واستنشده بعض ما رثى به أخاه - يقول نصيب :

عَرَفْتُ وجَرَّبْتُ الأُمُورَ فما أرَى ... كماضٍ تَلاهُ الغابِرُ المُتَأخِّرُ

ولكنَّ أهلَ الفَضْلِ من أهلِ نِعْمَتِى ... يَمُرُّونَ أسْلافاً أمامِى وأغْبُرُ

فإنْ أبْكِه أُعْذَرْ وإنْ أغْلِبَ الأسَى ... بصَبْرٍ فمِثْلِى عندما اشْتَدَّ يَصْبِرُ(١٠٩)

فلا يعدل - وهو الخبير الذى قد عرف وجرب - بماضيه فى حضرة عبد العزيز - أو الماضى عامة - الحاضر المتأخر ، وكيف وأهل الفضل والنعمة - وعلى رأسهم مولاه - يمرون من أمامه ، الواحد تلو الآخر ، ويبقى بعدهم - متفرداً - فى الغابرين ؟! فإن يبكه - ومثله لا ينقطع عليه البكاء - يعذر ، وإن يصبر فما أجدره بالتماسك أمام الرزية - على عظمها - والحدثان . ولقد استوقفه عبد الملك عند هذا البيت قائلاً : « ويلك ! أنا كنت أحق بهذه الصفة فى أخى منك ، فهلا وصفتنى بها » ؟ وجعل يبكى(١١٠).

ثم يقص علينا طرفاً من ماضيه مع هذا الأمير ؛ فنرى الركاب وهى تنتحى به إليه كلما شاء ، وكيف كان عبد العزيز يقضى عنه حوائجه ، فتصدر - وقد قضيت له الحاجات بالغة ما بلغت - وهى تثنى - ويثنى معها - بالرضا ، وكيف قد عريت بعده فصارت ذراها مشهداً يثير الشفقة كلما امتدت إليها عيون الناس ، ولو - وما أقسى لو وأنكاها فى هذا المقام للجراح - كان حياً لظلت تجوب - كما كانت - به الآفاق ، تقطع إليه السبل ملقية بحاجتها - وحاجة صاحبها - بين يديه ، وتعود - كعهدها - وقد قضيت لهما الحاجات :

وكانتْ رِكابِى كُلَّما شِئْتُ تَنْتَحِى ... إليكَ فتَقْضِى نَحْبَها وهى ضُمَّرُ

تَرَى الوِرْدَ يُسْراً والثَّواءَ غَنِيمَةً ... لديكَ وتُثْنِى بالرِّضا حينَ تَصْدُرُ

فقد عَرِيتْ بعدَ ابنِ ليلى فإنما ... ذُراها لِمَنْ لاقتْ من النَّاسِ مَنْظَرُ

ولو كانَ حَيّاً لم يَزَلْ بدُفُوفِها ... مَرادٌ لغِرْبانِ الطَّرِيقِ ومَنْقَرُ

فإن تكن المنية قد نالته - من بين آله وذويه - فهو المصطفى دوماً والمتخير من بين هؤلاء الآل :

فإنْ كُنَّ قد نِلْنَ ابنَ ليلى فإنَّهُ ... هو المُصْطَفَى من أهْلِه المُتَخَيَّرُ

---

١٠٩ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٦١ .

١١٠ - المصدر نفسه ص ٣٦٢ .

وفى لاميته (قبل) ، يشير إلى الموضع الذى وافته المنية فيه ، وهو بلد صغير من بلدان الصعيد يقال له «سُكَر» كان عبد العزيز كثير الخروج إليه ، ولقد خرج إليه خرجته الأخيرة - حين وقع الطاعون بالفسطاط - فمرض هناك ، وأتاه - من قِبَلِ ابن حديج صاحب الشرط والقضاء - رسول ، « فقال له عبد العزيز : ما اسمك ؟ فقال أبو طالب . فثقل ذلك على عبد العزيز وغاظه ، فقال له عبد العزيز : أسألك عن اسمك فتقول أبو طالب ! ما اسمك ؟ فقال : مدرك » (١١١) . فتشاءم واشتد المرض عليه ، ولم يصل إلى الفسطاط مرة أخرى إلا محمول الجثمان . يقول نصيب :

أُصبتُ يومَ الصَّعيدِ من سُكَرٍ ... مُصيبةً ليس لى بها قِبَلُ (١١٢)

فهى مصيبة لا قبل لأحد بها - وله هو على وجه خاص - ويقسم - وكل مصاب تلطف من حدته حتى يزول ويتلاشى الأيام - ألا ينساها أبداً ، ما تردد فى سمعه حنين الإبل ، ولا العويل ولا البكاء ، فكل مصاب دونه جلل يسير :

تالله أَنْسَى مُصيبتى أبداً ... ما أَسْمَعَتْنى حَنينَها الإبلُ

ولا التَّبَكِّى عليه أُعْوِلُهُ ... كلُّ المُصيباتِ بَعْدَهُ جَلَلُ

لقد حملوه - إذ حملوه - فوق « النعش » ، فلو كان للنعش إدراك لعلم - ولعلم معه حاملوه - ما فوقه من العرف وإنه لكثير ، لقد واروه - وواروا معه ذلك العرف - التراب ، وانتهى - وقد غيبوه فى الضريح - من نفسه -ونفس كل خليل - الأمل وانقطع الرجاء :

لم يعلم النَّعْشُ ما عليه من العُرْفِ ولا الحاملون ما حَمَلُوا

حتى أَجَنُّوه فى ضَريحِهِمُ ... حينَ انتهى من خَليلِهِ الأَمَلُ

ويعجب فى أخرى كيف عاش - وقد كان يظن أنه سوف يقضى نحبه إن علم بموته - بعده وبعد الأصبغ ابنه ، لكنه يرد الأمر - فعل المحتسب المؤمن بالله - إلى القضاء :

وكنتُ أرَى أنّى إذا بِتُّ ليلةً ... من الدَّهْرِ قد أيقنتُ ألا أراهما

سأقْضِى فلم أفعلْ ولكنْ مَنِيَّتِى ... تَرَاخَى إناها بعدَ حِينِ إناهُما (١١٣) .

ولا يجد ما يقدمه لهما - فى الختام - خيراً من الدعاء لهما ، فيدعو الله أن يجزيهما عنه خير ما جزى مولى عن مولاه :

جَزَى خَيْرُ [مَوْلًى] مَوْلَيَيَّ ولا جَزَى ... من النَّاسِ خَيْراً من أَحَبَّ رداهما

---

١١١ - فتوح مصر والمغرب ص ٢٦٤ .

١١٢ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٦٠ .

١١٣ - أمالى اليزيدى ص ٤٧ . ولاة مصر ص ٧٩ .

ويجىء كثير إلى مصر - وفادته الأخيرة على عبد العزيز - فيصل وقد مات ، ويرى ورثته وهم يتقاسمون - ولعلهم كانوا يتنازعون فيما بينهم - الأموال ، فيبكى حتى يخنقه البكاء ، ويردد - دون إعداد مسبق - هذين البيتين :

أَضْحَى تُراثُ ابنِ لَيْلَى وهم مُقْتَسَمٌ ... فى أَقْرَبِيهِ بلا مَنٍّ ولا ثَمَنِ
وَرَّثْتَهم فتَفَرَّوْا عنكَ إذ وَرِثُوا ... وما وَرَّثْتُكَ غيرَ الهَمِّ والحَزَنِ(١١٤)

وفيهما يقابل - فى أسى ومرارة - بين ما ورثه الأقرباء ، وكيف آل الطمع بهم إلى الشقاق والانقسام ، وكانوا أحق بالوفاء لصلة الدم ، لكن المال - على ما يبدو - كان أهم لديهم مما يستوجبه الوفاء من التبعات وأقلها الحزن والبكاء ، وما ورثه هو - شاعره المدين له بالمودة والحب على ما بينهما من اختلاف المذهب والأهواء - من الهموم والأحزان .

وتتوالى مراثى كثير فيه (١١٥) ، ويطول بعضها حتى يصل إلى ثمانية وثلاثين بيتاً - وهى، فيما وقفت عليه ، أطول ما رُثِىَ به عبد العزيز - يبث خلالها شجنه ، ويَبكى ويُبكى معه كل من يسمع - أو يقرأ - له ، ويقدم - أثناء التأبين - صورة مثلى لعبد العزيز ، كتلك التى كان يقدمها - وهو المُقَدَّمُ - فى المدح ؛ يتراءى لنا خلالها - وقد ارتفع إلى حد المثال - فى ذروة الكمال البشرى ؛ فلا نجد غير الصفات الإيجابية التى تفرضها طبيعة البيئة والمجتمع ؛ من الكرم الذى لا حد له ، والحلم الذى لا يدانيه - على كثرة الحلماء - حلم ، والشجاعة التى تبلغ المنتهى ، والذكاء الخارق ودقة التفكير وحسن الرأى ، والعدل والتقوى والزهد ، وغيرها ، أما الصفات التى تتجه نحو السلب ، أو تصمه - وهو كسائر البشر غير معصوم - بالنقص ، فلا مجال فى مراثيه - ولا فى مراثى غيره مما قيل فى تأبين عبد العزيز - لذكرها على الإطلاق .

٣ - ولا يقف الشعر عند مدح عبد العزيز ورثائه - ولا عند رثاء ابنه معه - وإنما يمتد ليشمل موضوعات أخرى ؛ كرثاء غيره ، ورثاء النفس ، والغزل والنسيب ، والغربة والحنين، والشكوى والعتاب ، والندم والاعتذار ، والهجاء - على قلته - والفخر ، والحكمة ، والوصف . وهى موضوعات تقليدية ، ينغلق الشاعر فيها على ذاته ، ولا يغفل فى بعضها الآخر حق الأمير ، فيمسه - وهو الأقل - من قريب ، أو يلمح إليه من بعيد ، ويحاول أحياناً الاقتراب من الموضوعية والتفلت - قدر الإمكان - من الذات فى دائرة كالوصف .

وفى **رثاء غير الأمير** - وذويه - يلقانا - مرة أخرى - كثير ، وتحل عزة -معشوقته -

---

١١٤ - ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٣٤٢ .

١١٥ - المصدر نفسه ص ٧١ ، ٩٧ ، ١٣٣ ، ١٤٠ . الأغانى جـ٦ ص ٢١٠٥ .

محل عبد العزيز ، فقد ماتت - على ما صرحت به بعض المصادر [١١٦] - في مصر ، وكان كثير غائباً ، فلما بلغه نعيها قدم على عبد العزيز ، وسأله أن يدله على من يعرف قبرها ، فقال أحدهم : إنى لعارف به ، فوثب كثير وقال للأمير : هى حاجتى أصلحك الله ، وانطلق معه حتى انتهيا إليه ، فبكى - واضعاً يده عليه - وأنشأ يقول :

وقفتُ على رَبْعٍ لعَزَّةَ ناقتى ... وفى البَرْدِ رَشَّاشٌ من الدَّمْعِ يُسْفَحُ

. . . الأبيات [١١٧] . وهى - كما جاءت فى المصادر التى صرحت بأنها قيلت فى مصر - :

أقولُ ونِضْوِى واقفٌ عندَ رَأسِها ... عليكِ سَلامُ الله والعَيْنُ تَسْفَحُ

فهذا فِراقُ الحَقِّ لا أنْ تُزِيرَنِى ... بلادَكِ فَتْلاءُ الذِّراعَيْنِ صَيْدَحُ

وقد كنتُ أبْكى من فِراقِكِ حَيَّةً ... وأنتِ لعَمْرِى اليَوْمَ أنْأى وأنْزَحُ

وفيها ينبلج الستار عن شخص منكسر حزين - هو الشاعر نفسه - قد تفرد - ناسياً أو متناسياً الدليل الذى كان معه - إلا من راحلته - المشاركة له على الدوام - والقبر - الذى يقف أمامه - وما خلفته له صاحبته - الغائبة تحت صفيحه وترابه ، الحاضرة برغم الموت فى الوجدان - من الهموم والأحزان ؛ العين يخنقها البكاء ، والقلب يعصره الألم ، واللسان يتمتم فى أسى « عليك سلام الله » . وماذا يملك - وقد رحلت عنه إلى الأبد - غير التحية - يرددها صوته الضعيف - وغير المرارة والشجن ؟! فهذا - كما يقول - « فراق الحق » ، لا ما كان يعهده من قبل حين تغيب مدة - بصحبة بعض آلها - ثم تعود ، أو يلحق - وقد فروا من وجهه وأجبروها على الفرار معهم - بها ، أو يحتال - وقد زوجوها من غيره وزُجَّ به إلى غيرها - للقائها ، لقد تقطعت الآمال ، وما عاد ثم وجه للحيلة ، ولا مجال - إلا بالموت يعتريه كما اعتراها - للحاق بها ، فليبكها - ولطالما أبكاه الفراق وهى حية من قبل - نائية -نأى الموت - غائبة نازحة .

ويرثى - على ما قد يكتنفه من شك - جميل نفسه ، قبيل الموت ، فيقول وقد حضرته الوفاة :

---

١١٦ - الشعر والشعراء جـ١ ص ٥١١ ، ٥١٢ . مصارع العشاق جـ١ ص ١٢٦ . زهر الآداب جـ١ ص ١٣٩ .

١١٧ - مصارع العشاق جـ١ ص ١٢٦ . وهى بتمامها - مع اختلاف فى الترتيب وبعض الألفاظ - بالديوان ص ٩٠ : ٩٢ ، وفيه - خلافاً للمتداول المعروف - أنه قالها فى دمشق ، و أن قبرها - على النقيض مما ذُكِرَ - هناك ، فاعتمدت ما جاء فى المصادر - كالأغانى وزهر الآداب - وأغفلت - فى هذا الموضع - رواية الديوان .

بَكَرَ النَّعِيُّ - وما كَنَى - بجَميلِ — وثَوَى بمصرَ ثَواءَ غيرِ قَفُولِ
بَكَرَ النَّعِيُّ بفارسٍ ذي هِمَّةٍ — بَطَلٍ إذا حَمَلَ اللواءَ مُديلِ
ولقد أجُرُّ الذَّيْلَ في وادي القُرَى — نَشْوانَ بينَ مَزارعٍ ونَخيلِ
قُومِي بُثَيْنَةُ فانْدُبِي بعَويلِ — وابكِي خَليلَكِ دُونَ كلِّ خَليلِ (١١٨)

وفيها يبكى نفسه - وقد تراءى له الناعون ،يغدون بخبر وفاته ، مصرحين باسمه على التثبت والتحقيق - وهو يموت مغترباً عن وطنه وعن آله وذويه ، ثاوياً - مثواه الأخير - بأرض مصر ؛ حيث لا أمل - وقد شط المكان وتيقن من وقوع الموت - فى القفول إلى الحجاز ، ويتبدى له - فى لحظات النزع الأخير - جانب من حياته الماضية ، فنراه - ويرى نفسه على سبيل الارتداد لمواجهة ما هو فيه ، أو التشبث بالحياة إزاء العدم الذى يحاول أن يحتويه - وهو يجر الذيل نشوان فى وادى القرى - حيث كان يعيش - بين المزارع والنخيل ، ويعرض علينا جانباً من فروسيته ،وكيف كان - وهو المستسلم فى آنه لسهام الموت - فارساً شجاعاً ذا همة ، بطلاً مديلاً يستطيع - وقد استظلوا بلوائه - أن يقلب موازين الأمور ، فيحيل الهزيمة نصراً والنصر هزيمة ، ويطلب من بثينة - وهى امتداده فى الوجود - أن تندبه - إذ لا أقل من ذلك - وأن تبكيه . وقيل إن بثينة حين جاءها خبر موته وبلغتها هذه الأبيات « صاحت بأعلى صوتها ، وصكت وجهها » ، واجتمع معها نساء الحى يبكينه ويندبنه ، حتى صعقت ، ومكثت مغشياً عليها ساعة ثم أفاقت ، ورثته - فيما لم يصلنا من شعرها غيره - ببيتين من أرق الأبيات (١١٩) .

والنسيب - وهو التفات إلى الذات ، حين يشغل الشاعر بشخص آخر كالممدوح فى قصائد المدح - نجده مبثوثاً فى كثير من المطالع ، خاصة تلك التى تتصل - على نحو ما - بالمدح ؛ فيشكو ويتوجع ، ويتذكر لحظات رائعة من ماضيه ، وقد يمزج هذا كله بالأطلال ، وقد يكتفى - فى بعض الأحيان - بالنسيب .

وقد شغل النسيب - منفرداً أو متصلاً بالأطلال - نسبة كبيرة من قصائد المدح ؛ منها - على سبيل المثال - لاميتا كثير ؛ (الغياطل) (١٢٠) ، و(بوال) (١٢١) ، وميميته (تكلم) (١٢٢)

---

١١٨ - ديوان جميل - ت . د . حسين نصار - ص ١٨٤ .

١١٩ - المصدر نفسه ص ١٨٥ . الأغانى (ط . الشعب) جـ٨ ص ٢٨٩٩ ، ٢٩٠٠ ، ٢٩٤٨ : ٢٩٥٠ .

١٢٠ - ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٢١٤ .

١٢١ - المصدر نفسه ص ٢٦٥ .

١٢٢ - المصدر نفسه ص ٣٠٤ .

، ودالية الأحوص (فالجمد) [١٢٣] ، وعينيته(نافع) [١٢٤] ، ونونية أمية (الحزينا) [١٢٥] ، و(لعبه) لابن قيس الرقيات [١٢٦] ، رميمياته ؛ (فالثلم) [١٢٧] ، و(أمما) [١٢٨] . بل لا تكاد قصيدة طويلة - أو يمكن وصفها على نحو ما بالطول - مما قيل في مدحه - وهو العربى الأصيل ، الراغب في المحافظة على تقاليد الشعر القديم - تخلو منه . ومن الغريب أن نجد للنسيب-والطلل أحياناً - مكاناً في مطالع بعض مراثيه ؛ كما صنع في (خدورها) كثير [١٢٩] .

ويفرد جميل للغزل - وهو شاعره الكبير - أكثر من قصيدة [١٣٠] ؛ منها دالية طويلة -تبلغ في الديوان خمسة وأربعين بيتاً - مطلعها :

ألا ليتَ أيَّامَ الصَّفاءِ جَديدُ ودَهْراً تَوَلَّى يابُثَيْنَ يَعُودُ [١٣١]

وهي من أجمل قصائده على الإطلاق ، وأكثرها شهرة وذيوعاً ، وقد تداولتها مصادر عديدة [١٣٢] ؛ من بينها الأغاني والزهرة وتزيين الأسواق ومصارع العشاق وطبقات فحول الشعراء والشعر والشعراء والعمدة والموشح ومنتهى الطلب وأمالي القالي وسمط اللآلي والموشى للوشاء .

وفيها يتمنى - وقد دارت به عجلة الزمان - عودة تلك الأيام - التي يسميها بـ « أيام الصفاء» - التي كانت تجمعه ببثينة قبل الغربة والاغتراب ، فيغنى - كما كان يغنى - والود موصول بها برغم قلة بذلها .

فنَغْنَى كما كنا نكونُ وأنتمُ صَديقٌ وإذ ما تَبْذُلِينَ زَهِيدُ

وإن ينس لا ينس - وقد قرّبت نضوه وهو على وشك الرحيل - قولها - منزعجة للفراق - : أمصر - قبل أن يحل بها ، وهو الآن يتذكر تلك اللحظات - تريد ؟ ولا قولها - وقد أبدت رغبتها أو اضطرها الرحيل المفاجئ إلى أن تظهر ما تكن له في قلبها - لولا هؤلاء الذين يرصدون عليها - وعليه كذلك - الخطوات لأتته غير عابئة بما قد يقال :

١٢٣ - شعر الأحوص الأنصارى - ت . عادل سليمان جمال - ص ٩١ .

١٢٤ - المصدر نفسه ص ١٤٥ .

١٢٥ - شرح أشعار الهذليين جـ٢ ص ٥١٥ . الأغاني (ط . الشعب) جـ٢٧ ص ٩٤٤٤ ، ٩٤٤٥ ، خزانة الأدب جـ٢ ص ٤٣٦ .

١٢٦ - ديوانه - ت . د . محمد يوسف نجم - ص ١٢ .

١٢٧ - المصدر نفسه ص ٧ .

١٢٨ - المصدر نفسه ص ١٥١ .

١٢٩ - ديوانه (ط . عدنان درويش) ص ١٤٠ .

١٣٠ - ديوان جميل - ت . د . حسين نصار - ص ٣٥ ، ٦١ ، ١٤٥ .

١٣١ - المصدر نفسه ص ٦١ .

١٣٢ - انظر تخريجها في الديوان ص ٦١ .

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ قَوْلَها ... وقد قَرَّبَتْ نضْوى : أمِصْرَ تريدُ؟
ولا قَوْلَها : لولا العُيونُ التى تَرَى ... أَتَيْتُكَ فاعْذُرْنى فَدَتْكَ جُدُودُ

ويخاطب - على طريقة القدماء - خليله - على الحقيقة أو الوهم - مظهراً ما تنطوى عليه الضلوع من شدة الوجد ، ويذرف - وهو العذرى - الدموع ، وتفضحه - حيث لا قدرة على التماسك أو إخفاء ما فى قلبه - العبرات :

خَليلَىَّ ما أُخفى من الوَجْد ظاهرٌ ... فدَمْعى بما أُخْفى الغَداةَ شَهيدُ
ألا قد أرَى والله أنْ رُبَّ عَبْرَة ... إذا الدَّارُ شَطَّتْ بيننا سَتَرُودُ

لقد كان يبكى ، وهو منها قريب ، فكيف وقد شطت به الدار ؟ لقد باعد الرحيل بينهما - بُعْدَ مصر عن وادى القرى بالحجاز - ولم يبق له غير مجموعة - يؤججها الشوق - من الذكريات ؛ فها هى ذى يأخذها - وقد طفحت تلك اللحظة فوق سطح مخيلته - التيه والدلال ، فتقول له - وقد بثها وجده ، وطلب منها أن ترد عليه بعض عقله ليعيش ، كما كان يعيش ، مع الناس -: « ذاك منك بعيد » . لقد أحكمت حبالها حوله ، ولَذَّ لها - وهى العاشقة المعشوقة - أن تراه وهو على تلك الحال ، فإن قتله الحب - وهو قاتله - فلن تجود -وهى البخيلة فى حبها - بما يتمناه ، وفيم تجود وقد أدركت - كما هداها تفكيرها - وده ، ولن يضرها - وهو الأسير لديها - بخلها ، بل سوف يزيد شوقه كلما ازدادت - وهو ما عرفته بغريزة الأنثى - فى التمنع والدلال :

إذا قلتُ : ما بى يا بُثَيْنَةُ قاتلى ... من الوَجْد . قالتْ : ثابتٌ ويَزِيدُ
وإنْ قلتُ :رُدِّى بَعْضَ عَقْلى أَعِشْ به ... مع الناسِ . قالت : ذاكَ منكَ بَعيدُ
فما ذُكِرَ الخِلاَّنُ إلا ذكرتُها ... ولا البخلُ إلا قلتُ : سوف تَجُودُ
إذا فَكَّرَتْ قالتْ : قد ادركتُ وُدَّهُ ... وما ضَرَّنى بُخْلٌ ففيمَ أَجُودُ؟

وليظل - هو العاشق - فى نهاية المطاف حائراً ، ممزقاً - مع تلك المرأة الخبيرة فى الحب - بين اليأس والرجاء :

فلا أنا مَرْدُودٌ بما جِئْتُ طالباً ... ولا حُبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيدُ

ويمضى جميل فى قصيدته - على طولها - يشكو - كما نعهده فى سائر غزله - ويئن ، ويعاتب عتاب الوامق المحب ،ويدعو لها - وقد استلذ عذابها - ويصب - متخففاً من شعور الغضب الممتلئة حتى الفيض به الجنبات - نقمته على الوشاة ، ويذكر - رَدَّ فعل لجرح الكرامة والكبرياء - تهافت النساء عليه وتمنعه - وهو العذرى الذى لا يرضى بغير المرأة التى أحب - من أجلها ، ثم يعود ليؤكد - لها ولنا - حبها ، فقد علق الهوى منها وليداً طازج الإحساس، وظل على ذلك الحب - حتى يومه ، وقد علا شَعْرَهُ فى مصر البياض - ينمو ويزداد ،

ويتوالد – حتى يكون منه الطارف والتليد – فى الأحشاء :

عَلِقْتُ الهَوَى منها وَلِيداً فلم يَزَلْ ... إلى اليومِ يَنْمِى حُبُّها ويَزِيدُ

فلو تُكْشَفُ الأحْشاءُ صُودِفَ تحتَها ... لِبَثْنَةَ حُبٌّ طارِفٌ وتَلِيدُ

ويعرج – مع تأجج العاطفة وتوهج الإحساس – إلى وصفها ؛ وصفاً حسياً – لعله يؤكد به على جمالها الشكلى حسب مقاييس الجمال فى عصره – لا يتعدى فيه الوجه والجيد والصدر الذى يشبه الفاثور من الرخام ، لكنه لا يوغل فيه إيغال الحسيين ، كعمر بن أبى ربيعة والأحوص ، ولا يتجه به نحو التهتك والمجون كسحيم عبد بنى الحسحاس (١٣٣) .

ويلتحم – فى هذه القصيدة – الغزل مع غرض آخر من الأغراض التى ظهرت لدى الوافدين – على وجه خاص – من الشعراء الذين اتصلوا بعبد العزيز وعدوا – كما ذكرت قبلاً – من شعراء البلاط ؛ كجميل – وقد اعتبره أحد الباحثين من الشعراء المستوطنين لا الوافدين (١٣٤) – والأحوص وأمية بن أبى عائذ الهذلى ؛ وهو **الحنين والاغتراب** ؛ **فجميل** -وقد هيج الشوق ذكرياته – يتذكر صاحبته – كلما أنَّت الريح ، ومرت واهنة ضعيفة فى صحراء عمره وقفر الغربة والمشيب – فيحن إلى ماضيه – زمناً – وإلى موطنه القديم ، ويتمنى – وهو أشبه على إمكان تحققه بالمستحيل – أن يبيت – ولو ليلة – فى بلده – كما تمنى مالك ابن الريب فى مرثيته لنفسه وهو على حافة الموت مغترباً عن وطنه وآله وذويه – وإنه إذن – لو تحقق هذا الحلم – لسعيد ، وهل يلقين سعدى – ولا يخفى ما فى الاسم المشتق من السعد والمتصل على نحو ما بالسعادة ، أمنيته المنشودة – من الإشارة والرمز – ولو مرة ، وقد تجدد -بعدما رث – حبل الوصال ، ولم لا – وهنا يقوى الرجاء – وقد تلتقى الأهواء – وتجتمع الأشتات – بعد التفرق واليأس ، وتُدرك – على بعدها – الحاجات ، ما ظل الأمل فى النفس :

يُذَكِّرُنِيها كلُّ رِيحٍ مَرِيضَةٍ ... لها بالتِّلاعِ القاوياتِ وَئِيدُ

ألا ليتَ شِعْرِى هلْ أَبِيتَنَّ ليلةً ... بوادى القُرَى إنِّى إذنْ لَسَعِيدُ

وهلْ أَلْقَيَنْ سُعْدَى من الدَّهْرِ مَرَّةً ... ومَا رَثَّ من حَبْلِ الصَّفاءِ جَدِيدُ

وقد تَلْتَقِى الأَهْواءُ من بعدِ يَأْسَةٍ ... وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهى بَعِيدُ

وفى مطلع مدحته – العينية – لعبد العزيز يقول الأحوص الأنصارى :

---

١٣٣ – راجع كتابنا : شعر العبيد فى الجاهلية وصدر الإسلام – ط١ (دار الشروق – القاهرة سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م) ص ١٠٩ : ١٢٠ .

١٣٤ – د . إبراهيم الدسوقى جاد الرب فى كتابه « شعر البيئة المصرية حتى سنة ١٣٢هـ» ص ١٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ .

أقــولُ بـعــمَّــان وهل طَـرَبى به | إلى أهْـلِ سَلْعٍ إنْ تَشَــوَّفْتُ نـافعُ
أصـاحِ ألم تَحْـزُنْـكَ ريحٌ مَـريضـةٌ | وبَرقٌ تَلالا بـالعَـقِـيـقَـيْنِ لامِعُ
فـإنَّ الغَـريبَ الـدَّار مما يَشُـوقُـهُ | نَسـيـمُ الرِّياحِ والبُـروقُ الـلوامعُ
ومن دونِ ما أسْمُـو بَطَرفِى لأرْضِهم | مَـفاوِزُ مُـغْبَـرٌ من التِّيـه واسعُ[١٣٥]

فنراه وقد هيجت أشواقه - كجميل - تلك الرياح المريضة والبرق ، يحن - وهو بعمان لا يزال ، والغربة فى أول مراحلها ، أو فى بدايتها من جهة المكان - إلى أهل سلع والمدينة بالحجاز ، لكن - ولم تتماد به كما تمادت بجميل الأحلام ، فسلم بواقعه واستسلم لليأس - هل ينفعه تشوفه - إن مد بصره وألقى بناظريه - وبينه وبين بلدته ما لا يعرف له عدداً من الأميال ؟! لقد حالت المفاوز والتيه بينهما ، وطوح به السفر بعيداً ، فلم يعد - وقد حاول النظر بالفعل من فوق حصن عال -غير الدموع تفيض من العين - وكأنها قد اكتحلت بالصاب أو المر - أسراباً ، معلنة - أو فاضحة - ما يكنه بين الأضالع من الصبابة والشوق . ومن الغريب أنه قد نأى حين نأى - كمالك بن الريب - طائعاً مختاراً ، لم يجبره أحد على الرحيل - غير الطمع على ما سوف يصرح به فيما بعد حين يخلص فى آخرها إلى المدح - ولم يرغمه على النأى :

نظرتُ على فَـوْتٍ وأوْفَى عَـشـيَّـةً | بنا مَنْـظَرٌ من حِـصْنِ عَـمَّـانَ يافعُ
وللعَـيْـنِ أسْـرابٌ تَفـيضُ كـأنَّمـا | تُعَلُّ بكُـحْلِ الصَّـابِ منهـا المدامعُ
لأبصَـرَ أحْـيـاءٌ بخَـاخٍ تَضَـمَّنَتْ | منـازلَهم منـهـا التِّـلاعُ الـدَّوافعُ
فـأبدتْ كثـيراً نَـظْرَتى من صَبَـابَتى | وأكـثـرُ منهـا مـا تُجِـنُّ الأضـالعُ
وكـيفَ اشتـياقُ المـرءِ يَبْكى صَبَـابَةً | إلـى من نَـأى عن داره وهـو طائعُ

ويطول مقام أمية بمصر ، ويتشوق - كما جاء فى «الأغانى » [١٣٦] - إلى البادية وإلى أهله، فيقول - وقد اعتمدت فى روايتها شرح أشعار الهذليين -:

مـتى راكبٌ من أهْلِ مِـصْـرَ وأهلُهُ | بمكَّةَ من مِـصْــرَ العَـشـيَّـةَ راجعُ
بلى إنه لا يَنْـشَـبُ الخَـرْقَ ضُـمَّـرٌ | تُبارى السُّـرَى والمُعْسِفُـونَ الزَّعارِعُ
متى ما يُجَوِّزْهـا ابنُ مَرْوانَ تَعْتَرِفْ | بِلادَ سُلَيْـمٍ وهْىَ خَـوْصَــاءُ ظالعُ
وباتتْ تَرُومُ الدَّارَ من كلِّ جـانبٍ | لتَـخْرُجَ واشـتدتْ عليـها المَصـارِعُ
فلـمــا رأتْ أنْ لا خُــروجَ وأنَّما | لهـا من هَواها ما تُجِنُّ الأضـالعُ
تَمَطَّتْ بمَـجْـدولٍ سِـبَطْرٍ فـطالَعَتْ | وماذا من اللَّوْحِ اليَمانِى تُطالعُ[١٣٧]

---

١٣٥ - شعر الأحوص الأنصارى - ت . عادل سليمان جمال - ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

١٣٦ - جـ ٢٧ ص ٩٤٤٥ .

١٣٧ - شرح أشعار الهذليين جـ٢ ص ٥٢١ . الأغانى (ط . الشعب) جـ ٢٧ ص ٩٤٤٦ .

فيقول له عبد العزيز - وقد أحس بما فيها من شدة الشوق والحنين : «اشتقت والله إلى أهلك يا أمية» . فيقول أمية : « نعم والله أيها الأمير » . فيصله ويأذن له[١٣٨] .

ونجد لدى نصيب ما يندرج تحت **الشكوى والعتاب** ، ومنه قوله - من قصيدة أنشدها بين يدى عبد العزيز - :

ألا هل أتَى الصَّقْرَ ابنَ مَرْوانَ أنَّنى	أُرَدُّ لدى الأبْواب عنه وأُحْجَبُ
وأنِّى ثويتُ اليومَ والأمس قَبْلَهُ	على الباب حتى كادت الشَّمسُ تَغْرُبُ
وأنِّى إذا رُمْتُ الدُّخُولَ تَرُدُّنى	مَهابَةُ قَيْسٍ والرِّتاجُ المُضَبَّبُ؟[١٣٩]

وفيها إلى جانب شكوى قيس - حاجب عبد العزيز الذى حال بين نصيب وبين الدخول على مولاه مدة -عتاب رقيق على الأمير الذى اتخذ مثل هذا الرجل المهيب - على حد تعبيره- حاجباً ، وجعله يتحكم فى وجوه الناس ؛ فيمنع عنه من يشاء - وإن كان منعه لنصيب قد جاء عن أمر من عبد العزيز ، ولم تكن علاقته بنصيب قد توثقت بعد - ويدخل عليه من يشاء ، وذلك « الرتاج المضبب» ، بينما يُمدح الكرام من الأمراء - كما مُدح بشر بن مروان[١٤٠] - بسهولة الحجاب أو عدم وجوده - برغم أهميته - على الإطلاق ، وليس بعيداً عن الأذهان كلمة بشر لأيمن بن خريم - حين رحل إليه أيمن بعد الشقاق الذى وقع بينه وبين عبد العزيز - « إنا قوم نحتجب الحُرَم»[١٤١] . يعنى النساء ، فعلام تحتجب الرجال ؟! .

وإذا كان العتاب يتوارى فى هذه القصيدة - خلف شكوى الحاجب - ولا يتعدى اللوم -غير المباشر - على ما أحاط به عبد العزيز نفسه - من حاجب صارم وأبواب ذات أقفال - مما قد يحول بينه وبين رعيته ، فإنه يتخذ شكلاً أكثر صراحة فى قول نصيب - وقد أبطأت عنه الجائزة ، على ما ذكره إسحق - :

وإنَّ وراءَ ظَهْرِى يا ابنَ لَيْلَى	أُناساً يَنْظُرونَ متى أَؤُوبُ
أُمامَةُ منهمُ ولِمَأقِيَيْها	غَداةَ البَيْنِ فى أَثَرى غُرُوبُ
تركتُ بلادَها ونأيتُ عنها	فأشبهُ ما رأيتُ بها السُّلُوبُ
فأَتْبِعْ بَعْضَنا بعضاً فلَسْنا	نُثِيبُكَ لكنِ اللهُ المُثِيبُ[١٤٢]

---

١٣٨ - الأغانى (ط . الشعب) جـ٢٧ ص ٩٤٤٦ . خزانة الأدب جـ٢ ص ٤٣٦ .

١٣٩ - الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ ص ٣١٦٦ .

١٤٠ - المصدر نفسه جـ ٢٣ ص ٨٠١٠ ، ٨٠١١ .

١٤١ - المصدر نفسه ص ٨٠١١ .

١٤٢ - المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٤٠ .

وفيها يمزج العتاب الصريح بنغمة استجداء ذليلة لم أجدها لدى غيره من شعراء البلاط . وفى الخبر - الذى جاءت فى سياقه هذه الأبيات - ما يدل على أن عبد العزيز قد استجاب له « فعجل جائزته وسرحه » ، ولم يدفعه الكبرياء إلى التحامل عليه .

ومن الاستجداء الذليل ما نراه كذلك فى قوله لعبد العزيز :

وأهْلي بـأرْضٍ نازحُـونَ ومـا لهم ... بهـا كـاسِبٌ غَـيْـرِى ولا مُـتَـقَلِّبُ

فـهل تُلْـحِـقَنِّـيهِمْ بعَـنْسٍ مُـواشك ... على الأيْنِ من نُجْبِ ابنِ مَرْوانَ أصْهَبُ

أبو بَكَـراتٍ إنْ أردتُ افـتِـحـالَهُ ... وذو ثَبِـتـاتٍ بالرَّديـفَينِ مُـتْـعَبُ؟(١٤٣)

ولعله قد مهد به - كما مهد المتكسبون بشعرهم فى عصره - لشعراء الفقر - كأبى دلامة زند بن الجون وأضرابه - حيث صارت هذه اللفتات - على أيديهم فيما بعد - موضوعاً من الموضوعات القائمة ، وغرضاً كسائر الأغراض .

وقريب منه - مما قد يتعارض مع الأنفة والإحساس المفرط بالذات ، وهما من أبرز ما يتميز به على العموم لا الشمول الشاعر العربى القديم - **الاعتذار** ، وهو من الموضوعات القليلة فى تراثنا الشعرى ، ولم يطرقه إلا قلة - كعبد الله بن الزبعرى ، وأبى سفيان بن الحرث والنابغة الذبيانى وأسيد بن أبى إياس - وممن تطرق إليه من شعراء البلاط عبد الله بن الحجاج وكثير ؛ أما ابن الحجاج فقد خرج - بعد أن طال به المقام واشتد شوقه إلى الآل - من مصر بغير إذن عبد العزيز ، وكان قد استأذنه فى الخروج ولم يأذن له ، وتوجه - بعد خروجه - إلى العراق ، فكتب عبد العزيز إلى أخيه بشر أن يمنعه العطاء ، فلما ضاق به الأمر عاد مرة أخرى إلى مصر ، واعتذر بين يدى عبد العزيز بهذه الأبيات :

تركتُ ابنَ لَيْلى ضَلَّةً وحَـريمَهُ ... وعندَ ابـنِ ليلى مَـعْـقِلٌ ومُـعَـوَّلُ

ألم يَـهْـدِنى أنَّ المُراغَمَ واسِعٌ ... وأنَّ الـدِّيـارَ بالمُـقِـيمِ تَنَـقَّـلُ

سـأحكمُ أمْـرِى إنْ بدا لى رُشْـدُهُ ... وأختـارُ أهلَ الخَـيرِ إنْ كنتُ أعْـقِلُ

وأتـرِكُ أوطارى وألحقُ بامـرئٍ ... تَحَلَّبُ كَـفَّـاهُ النَّدَى حينَ يُـسْـألُ

أبَتْ لكَ يـا عـبـدَ الـعـزيزِ مـآثرٌ ... وجَـرْىٌ شَـأى جَـرْىَ الجِـيـادِ وأوَّلُ

أبَى لـكَ إذ أكْـدَوا وقـلَّ عَطـاؤهم ... مَـواهبُ فَـيَّـاضٍ ومَـجْـدٌ مُـؤثَّلُ

أبوكَ الذى يُـنْمـيكَ مـروانُ للعُلَى ... وسَعْـدُ الفَتَى بالخالِ لا مَنْ يُخَوَّلُ(١٤٤)

وفيها يجمع بين المدح - وقد اتخذه وسيلة لاسترضاء الأمير - والندم على تركه له -وهو الذى ينسبه إلى الضلال فى محاولة منه لنيل العفو عنه - والتأنيب وإلقاء اللوم - فيما يشبه

---

١٤٣ - المصدر نفسه جـ٩ ص ٣١٦٦ .

١٤٤ - شعراء أمويون - جـ١ ص ٣١٠ . وهى فى الأغانى (ط . الشعب) جـ ١٣ ص ٤٦٨٢ .

الاعتراف – على النفس .

وأما كثير فقد سأل عبد العزيز – فى لحظة من لحظات الرضا عنه – أن يجعله – وقد حكمه الأمير فى اختيار الجائزة – مكان ابن رمانة كاتبه ، فعاتبه وأغلظ القول له وحرمه جائزته، فخرج من عنده نادماً ، « ثم لم يزل يتلطف حتى دخل عليه فأنشده : وإن ابن ليلى فاه لى بمقالة . . . » (١٤٥) . ومنها :

عَجِبْتُ لتَرْكِى خُطَّةَ الرُّشْد بَعْدَما ... بَدا لىَ من عبد العزيزِ قَبُولُها
وأمِّىَ صَعْبَاتِ الأُمُور أَرُوضُها ... وقد أمْكَنَتْنى يومَ ذاكَ ذَلُولُها
حَلَفْتُ بربِّ الرَّاقِصاتِ إلى مِنًى ... يَغُولُ البلادَ نَصُّها وذَميلُها
لئنْ عادَ لى عبدُ العزيزِ بمِثْلِها ... وأَمْكَنَنى منها إذاً لا أُقيلُها
فهل أنتَ إنْ راجَعْتُكَ القَوْلَ مَرَّةً ... بأحسنَ منها عائدٌ فمُنيلُها؟ (١٤٦)

وفيها يصب جام سخطه على نفسه ، ويحملها – وقد أعماها الطمع – عبء ما آلت إليه ، ويعجب كيف جانبه الصواب فلم يوفق – وقد ترك له مطلق الاختيار – وضل رشده وخاب ، لقد أمَّ – باختياره ما لا ينبغى له أن يختار – صعاب الأمور يذللها ، وكانت لديه –يومذاك – فرصة سهلة ، لكنه لم يحسن – لجشعه – استغلالها . ويحلف برب الحجيج –على ظهر تلك النياق التى تعدو إلى منى مسرعة وهى تجتاز البلاد فى عدوها – لئن أمكنه عبد العزيز – فى القابل – من مثلها ، لما تركها تفوت – كما فاتت – ولأحسن – بعدم الخروج عما هو معهود ومتاح – اقتناصها ، فهل يعفو عنه الأمير – إن راجعه القول بأحسن منه معتذراً عما بدر منه أو ند عنه – ويعود لسالف عهده معه وينيله ما كان – من قبل – قد اعتاد؟!

وعلى النقيض من تلك النغمة – التى يبدو فيها الشاعر منكسراً أو موشكاً على التدنى فى الانكسار – ما نجده فى غرض آخر من أغراض شعرهم – وهو **الفخر** ؛ ففيه يتشامخ الشاعر – برغم هيبة عبد العزيز وسطوته – بأنفه ويتطاول – فى لباقة ، ودون أن ينقص ذلك من حق الأمير – بالحسب والنسب والأصل – إن كان عريقاً فيه – أو بالذات وما تنطوى عليه تلك الذات من جليل الصفات وجميل الخلال ، أو بالشعر – وهو أكثر ما فخروا به – يحبره قصائد سيارة وأبياتاً تتردد – لجودتها وحسن صياغتها – على ألسن الناس ، خالدة – فى زعمهم – خلود الوجود وباقية بقاء الزمان . ففى لاميته (موكل) يقول كثير فى سياق مدحه لعبد العزيز :

---

١٤٥ – ديوانه (ط . عدنان درويش) ص ٢٤٣ .

١٤٦ – المصدر نفسه ص ٢٤٤ . وبعضها فى البيان والتبيين جـ٢ ص ٢٤١ والعقد الفريد جـ٢ ص ٢٨٩ .

إذا وَفَـدَتْ رُكْـبانُ كَـعْبٍ وعـامـرٍ ... عليكَ وأرْدوا كُـلَّ هَوْجـاءَ عَـيْـهَلِ
لَقُـوكَ بقَـوْلٍ من ثَـنائِيَ صـادقٌ ... تَخَـيَّـرْتُهُ حُـرَّ القَـصِـيدِ المُنَخَّلِ
ثَنـاءٌ يُوافِـى بالمَـواسِمِ أهْـلَهـا ... ويُنْشِـدُهُ الرُّكْبـانُ فى كلِّ مَحْـفَلِ(١٤٧)

وفيه يدل على الأمير بما دبجه فـيه من المديح ، فهو ليس من ذلك النوع الشائع الذى لا يتجاوز لحظته ، ولا يتخطى - ربما - لرداءته المكان الذى قد قيل فيه ، وإنما ينتشر - لما ينطوى عليه من الروعة والجمال ، وقد تنخله وتخير ما فيه ، ولم يتجاوز فى ثنائه دائرة الصدق - فى الآفاق ، وتوافى به الرواة فـى المواسم ، وينشده الركبـان فى المحافل ، ويتـردد ذكره فى كل مكان .

ويسابق عبد العـزيز بين الخيول ، فيأتى فرس قيس بن أوس البلوى سابقـاً ، فيهب أحد شعراء قبـيلته - وهو المثلم البلوى - ليسجل فى شعره ذلك الحـدث الذى رفع من شأن القبيلة كلها ، مفتخراً - كأكثر الفخر القديم - فى إطار قبلى . يقول المثلم :

تَدارَكَنا قَـيسُ بنُ أوْسٍ بسَـبْـقِـهِ ... وسـارَ من البلقـاءِ غـيـرَ مُكَذَّبِ
يَسُـومُ ويَسْـتَـدْرِى الغُـلامُ عنانَهُ ... إذا مـا جرتْ من غـائط مُتَصَـوِّبِ
تُبـارى مـراخيـهـا الرِّياحَ كـأنَّهـا ... ضـراءُ دوانٍ من جـدايَةِ حُـلَّبِ
بسـمنَ مـعـاً يَرْجُـونها وهى كلما ... دَنَوْنَ تَراخَتْ جَـمَّـةَ المُتَصَـوِّبِ(١٤٨)

غير أن الفخـر - بصفة عامة - لم يكن من الموضوعات الشائعـة فى بلاط عبد العزيز ، وأكثره كـان يجىء - كما ذكرت - فى ثنايا مـوضوعات أخرى - كـالمدح ونحوه - وهذا أمر طبيعى ، يقره المنطق والعقل ؛ إذ كيف يتمـادى الشعراء فى حضرة هذا الأمير المهيب - إن لم يكن هناك دافع طارئ يدفعهم دفعاً لـلتطاول والفخر - فيما يتمادون فيه - وأكـثرهم وافد غير مقـيم - وهم فى ديارهم وبين أبناء قـبائلهم ؟! وهل يسـمح الأميـر - أى أميـر - لهم به ، ويتجـاوز راضياً - دون مناسـبة أو داع - عنه ؟! وكيـف يحوز رضاه - وقـد جاءوا لنيل هذا الرضا وما يستتبعه غالباً من العطاء - من يحفز فيه قوى الصد ويثير لديه دواعى الإعراض ؟

ومما قل فى شـعـرهم كـذلك **الهجاء**(١٤٩) ، على مـا كـان بين بعـضـهم - ككثيـر

---

١٤٧ - ديوان كثير (ط . عدنان درويش) ص ٢٦١ . ومثل هذا الفخر نجده عند أمية بن أبى عائذ فى قوله :

تَـسِـيـرُ بمَدْحِيَ عبـد الـعَـزِيـ ... ـزِ رُكْـبـانُ مَـكَّةَ والمُنْجِـدُونا
مُـحَـبَّـرَةً من صَـرِيحِ الكَلا ... مِ ليسَ كـمـا لَفَّقَ المُحْـدِثُونا

الأغانى (ط . الشعب) جـ ٢٧ ص ٩٤٤٥ . شرح أشعار الهذليين جـ٢ ص ٥١٥ .

١٤٨ - المؤتلف والمختلف ص ٢٣٩ .

١٤٩ - ديوان كثير (ط . عدنان درويش) ص ٣١٩ . الأغـانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٢٩ ، ٣٥٢ ، جـ ٢٣ ص ٨٠١٠ . أمـالى ابن دريد ص ٩٢ ، ٩٣ . البـرصـان والعـرجان ص ١٠٧ ، ١٠٨ . الشـعـر والشعراء جـ ١ ص ٤١٠ .

ونصيب[١٥٠] – من التنافس والبغضاء ، و**الحكمة** – وهى تجىء فى ثنايا موضوعات أخرى ، وأكثرها من النوع العملى[١٥١] – وما تستدعيه بعض **المناسبات** ؛ كعيادة كثير أو نصيب –على اختلاف فى الرواية – لعبد العزيز فى مرضه الأخير[١٥٢].

٣ – تلقى السياسة بظلالها على الشعر الأموى ، وتفسر – أوتكاد – ظواهر كثيرة فيه ، ولأن السياسة هى السمة البارزة فى شعر ذلك العصر – وهى كذلك سمة فى الشعر الذى قيل فى مصر ؛ حيث لازمته منذ الفتح ، وسبقت سائر الأغراض فى التعبير عن الشخصية المصرية على ما ذهب إليه بعض الدارسين[١٥٣] – كان من الطبيعى أن يتجه الشعر فى بلاط عبد العزيز – عن قصد ، فى الأغلب الأعم – أو غير قصد – نحوها ، وكان من الطبيعى أيضاً أن نبحث عن تلك الظلال .

وأول ما يلفت الانتباه ذلك الحرص – الذى قد يصل إلى حد المبالغة – على امتداح بنى أمية – مسهبين – فى سياق مدائحهم لعبد العزيز ، وهو يرتبط فى تصورى – على ما قد يبرره فى الظاهر صلته بهم صلة الفرع من الجذور – بمسألة الخلافة – أبرز المسائل التى دار حولها الشعر السياسى آنئذٍ – ومدى أحقية الأمويين – وليس لهم نصيب ، كالشيعة ألد خصومهم ، من الوصية والوراثة – لها ، بكونهم – على ما تردد بصورة مباشرة أحياناً وغير مباشرة فى بعض الأحيان – أنفع الناس وأجدرهم – بما توافر فيهم من الخلال ؛ كحسن السياسة والتدبير والمكانة فى قريش ونحو ذلك – بها ، فإن كانت الخلافة فى قريش – على ما أخبر به النبى ﷺ[١٥٤] – دونما تحديد لفرع من فروعها ، فأولاهم – فى تصورهم – وأحقهم بها ، مع

---

١٥٠ – الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، جـ ١٢ ص ٤٢٨٠ . العقد الفريد جـ٦ ص ١٨ .

١٥١ – ديوان كثير (ط . عدنان درويش) ص ١٨٢ . الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٦١ ، جـ ٦ ص ٢١٠٥ . الشعر والشعراء جـ١ ص ٥١٦ .

١٥٢ – ديوان كثير (ط . عدنان درويش) ص ١٢١ . فتوح مصر ص ٢٦٥ . الشعر والشعراء جـ١ ص ٥١٦ . العقد الفريد جـ٢ ص ٢٥٢ .

١٥٣ – د . أحمد سيد محمد فى كتابه « الشخصية المصرية فى الأدبين الفاطمى والأيوبى » ص ٨٦ .

١٥٤ – فى مثل قوله « الأئمَّةُ من قُرَيْشٍ » صححه الألبانى وقال فى تخريجه : « . . . وله شواهد كثيرة جداً ؛ فقد قال الحافظ ابن حجر العسقلانى : « وقد جمعت طرقه فى جزء ضخم عن نحو أربعين صحابياً » . وكأنه لذلك نقل عنه العلامة القارى فى كتابه شرح النخبة أنه حديث متواتر » . تخريج أحاديث فضائل الشام للربعى – محمد ناصر الدين الألبانى – ط ٤ (المكتب الإسلامى – بيروت سنة ١٤٠٥هـ) ص ٣٥ ، ٣٦ . وانظر الفصل الذى كتبه السيوطى تحت عنوان : « بيان أن الأئمة من قريش والخلافة فيهم » فى كتابه : تاريخ الخلفاء – ط ٤ (المكتبة التجارية بمصر سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م) ص ٩
=

عدم إيمانهم بما آمنت به الشيعة من الوصية والميراث ، أفضلهم - بمقاييس الدنيا والدين ، لا الخيرية من ناحية الدين فحسب - وألقوا من ثم فى روع الرعية ، أنهم هم الأفضل - ولاكت شعراؤهم تلك الفكرة مفصلين لمعنى الأفضلية من وجوه متعددة - وهم الذين اختارهم الله - وقد راجت فى ظلهم آراء الجبرية - لتحمل أعبائها ، ولولا ذلك لما مكن لهم ونصرهم - فى سلسلة صراعات طويلة مع الشيعة والخوارج والزبيريين - على من تطاولت أعناقهم إليها من سائر الخصوم . فهذا كثير - على شيعيته - يقول فى مدحه لعبد العزيز :

وأنتَ دَعامَةٌ من عبد شَمْسٍ ... إذا انْتُجِبُوا من السِّرِّ اللُّبابِ
من اللائى يَعُودُ الحِلْمُ فيهم ... ويُعْطونَ الجَزيلَ بلا حِسابِ
وهم حُكّامُ مُعْضِلَةٍ عَقامٍ ... فكم بَعَثُوا بها فَصْلَ الخِطابِ
إذا قَرَعُوا المَنابِرَ ثم خَطُّوا ... بأطراف المخاصرِ كالغضابِ
قَضَوْا فيها ولم يَتَوهَّمُوها ... بفاصلَةٍ مُبَيَّنَةِ الصَّوابِ
وهم أحْلَى إذا ما لم تُشِرْهُم ... على الأحْناكِ من عَذَقِ ابنِ طابِ (١٥٥)

فيجعلهم أصحاب الفضل والأكرم نسباً ، ويصفهم بالحلم - وهو سجية فيهم - والجود - حيث العطاء ، وهو جزيل ، بغير حساب - والقدرة - حين يحتكم إليهم - على حل كل معضلة شائكة بما أوتوه من فصل الخطاب ، وهم بعد أحلى - إذا لم يستثاروا - من تمر ابن طاب - مضرب المثل فى الحلاوة - عند المعاشرة والاختلاط (١٥٦) .

وهذا ابن قيس - على زبيريته - يقول كذلك فى مدحه :

= وقد أورد فيه أربعة أحاديث ؛ منها الحديث السابق وزاد فيه : « ما حَكَمُوا فعَدَلُوا ووعَدُوا فأَوْفَوا واستُرْحِمُوا فرَحِمُوا » . و « الأُمَرَاءُ من قُرَيْشٍ أبْرَارُها أُمَرَاءُ أبْرارِها وفُجَّارُها أُمَرَاءُ فُجَّارِها » . و « المُلْكُ فى قُرَيْشٍ » . وقال بصدده : « إسناده حسن » . و « الخِلافَةُ فى قُرَيْشٍ . . . » وقال فيه : « رجاله موثقون » .

١٥٥ - ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٦٣ .

١٥٦ - ويقول كثير فى أخرى ، نص ابن ابن عبد ربه (العقد الفريد جـ٢ ص ٢٨٩) على أنها قيلت فى مدح عبد العزيز ، وفى الديوان (ص ٣٣٥) أنها قيلت فى مدح عبد الملك أخيه :

بَهاليلُ مَعْروفٌ لكم أن تفضَّلوا ... وأن تحفظوا الأحْسابَ فى كلِّ مَوْطِنِ
بَصْبرٍ وإبْقاءٍ على جُلِّ قومكم ... على كلِّ حالٍ بالأنا والتَّحَنُّنِ
ولينٍ لهم حتى كأنَّ صُدورَهم ... من الحِلْمِ كانت عِزَّةً لم تَخَشَّنِ
وأنتَ فلا تُفْقَدْ ولا زال منكمُ ... إمامٌ يُحَيَّا فى حِجابٍ مُسَدَّنِ
أشَمُّ من الغادينَ فى كلِّ حُلَّةٍ ... يَميسُونَ فى صِبْغٍ من العَصْبِ مُتْقَنِ
لهمُ أُزُرٌ حُمْرُ الحَواشِي يطَوْنَها ... بأقدامِهم فى الحَضْرَمِيِّ المُلَسَّنِ

أغَرُّ أشْياخُهُ العُصاةُ بنو ... أُمَيَّةَ المُرْغِمُونَ مَنْ رَغَما
أشياخُ صِدْقٍ نَمَوْا بمُعْتَلِجِ الـ ... ـبطْحاء كانوا لقَوْمِهِم عِصَما
نالوا مَواريثَ من جُدودهمُ ... فورَّثُوها مَرْوانَ والحَكَما
أهلُ الحَمالاتِ والدَّسِيعَةِ والـ ... ـمُغْنُونَ عند الشَّدائد البُهَما(١٥٧)

وقد عدد - كما عدد كثير - خلال الخير فيهم ؛ من القدرة على إرغام غيرهم - ولعله يعنى الخصوم - والمكانة الرفيعة فى قريش ، وتحملهم للمغارم والديات ، والعطاء بغير حدود فى الشدائد والأزمات ، ويضيف - فيما لم يذكره كثير - مسألة الميراث ، ويعنى بقاءها فيهم، تنتقل - دون خروج عنهم إلى غيرهم ، وقد صارت أقرب ما تكون أو آلت بالفعل إلى النظام الملكى - من الآباء إلى الأبناء ، أو بين الأخوة والآل . ويقول فى أخرى :

المانعُو الجارَ أن يُضامَ فما ... جارٌ دَعا فيهم بمُهْتَضَم
والوارثو مِنْبَرَ الخلافةِ والْـ ... ـمُوفُونَ عند العُهُود بالذِّمَم
والجابِرو كَسْرَ من أرادوا وما الْـ ... ـكَسْرُ الذى أوْهَنُوا بمُلْتَئِم
فهم إذا جَلَّلَتْ مُدَجِّيَةٌ ... نُجومُ لَيْلٍ تُنِيرُ فى الظُّلَم
الكاشِفُو غَمْرَةً إذا نزلتْ ... بالنَّاسِ إحدى الجوائح العُظَم
ليسوا يَمُنُّونَ فَضْلَهم ولهم ... فَضْلٌ علينا بأحْسَنِ النِّعَم
تُحِبُّهم عُوَّذُ النِّساء إذا ... أبْدَى العَذارَى مَواضِعَ الخَدَم
وأنْكَرَ الكَلْبُ أهْلَهُ وبَدَتْ ... حَرْبٌ عَوانٌ تُشَبُّ بالضَّرَم(١٥٨)

وفيها يؤكد إرث الخلافة - عن بعضهم - ويذكر من صفاتهم - من جهة النفع والفضل، وهما أبرز مؤهلاتهم لولاية الأمر - منع الجار ودرء الظلم عنه ، والوفاء بالعهود ، وجبر الكسر - وقد جبر عبد العزيز على وجه خاص كسره - وتفريج الأزمات ، وعدم المن على كثرة ما لهم فى أعناق الرعية من النعم ، وتوفير الأمن - وقد خص النساء بالذكر لما لهن من الحرمة - والأمان .

وفى دالية الأحوص :

قَوْمٌ ولادَتُهم مَجْدٌ يُنالُ بها ... من مَعْشَرٍ ذُكِرُوا فى مَجْدِ مَنْ وَلَدُوا
الأكْرَمُونَ طَوالَ الدَّهْرِ إنْ نُسِبُوا ... والمُجْتَدَوْنَ إذا لا يُجْتَدَى أحَدُ
والمانِعُونَ فلا يُسْتَطاعُ ما مَنَعُوا ... والمُنْجِزُونَ لما قالوا إذا وَعَدُوا

---

١٥٧ - ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات - ت . د . محمد يوسف نجم - ص ١٥٣ .

١٥٨ - المصدر نفسه ص ٨ ، ٩ .

والقـائلـونَ بفَـصْلِ القَـوْلِ إن نَـطَقُـوا ... عند العَـزائم والمُوفُـونَ إنْ عَـهِـدُوا
مَنْ تُمْـسِ أفـعـالُهُ عـاراً فـإنهمُ ... قـومٌ إذا ذُكِـرتْ أفـعـالُهم حُـمِـدُوا
قـومٌ إذا انْتَـسَبُـوا أَلْـفَـيْتَ مَـجْـدَهُمُ ... من أوَّلِ الدَّهْـرِ حـتى يَنْفَـدَ الأَمَـدُ
إذا قـريشٌ تَسـامَتْ كـان بَـيْـتُـهمُ ... منهـا إليـه يصـيـرُ المَجْـدُ والـعَـدَدُ
لا يَبْلغُ الـنَّاسُ مـا فـيـهم إذا ذُكِـرُوا ... مِلْ مَجْدٍ إن أَجْحَفُـوا فى المجدِ أو قَصَدُوا
هم خـيرُ سُكَّان هذى الأرْضِ نَعْلَمُـهمْ ... لو كـان يُخْـبِـرُ عن سُكَّانه الـبَلَدُ
يَبْقَى التُّقَى والغِنَى فى النَّاسِ مـا عَمِروُا ... ويُفْـقَدان جـميعـاً إنْ همُ فُـقِدُوا(١٥٩)

ويعنى بذلك كله بنى مروان - وقد صرح بذكرهم قبل هذه الأبيات متمنياً أن تبلغه إياهم عيرانة يمضى فى وصفـها طويلاً على سبيل الاستطراد - ويبرز من بين الخـصال - التى خلعها عليهم مؤكداً أفضليتهم وجدارتهم من ثم بالخلافة من دون بطون قريش ، بل من دون الناس، وهو الأموى هوى - طيب العنصر وكـرم الأصل ، و الإرادة القادرة ؛ فلا يسطاع - إن أرادوا المنع -ما منعوا ، ولا يحول - إذا وعدوا - شيء دون الإنجاز ، وفصل القول ، والوفاء بالذمم والعهـود ، فإن كـان بعض الفعل عـاراً - ولعله يغمـز بذلك بعض خصوم المـروانيين - فإن أفعالهم لا تذكر - حين تذكر -إلا مصحوبة بالحمد ، وذلك بيتهم فى قريش - وهو من أعلى البيوت داخل تلك القبيلة ذات السيادة والنفوذ - يستمد منها المجد والعدد ، ثم هم بعد - فى كلمة موجزة - « خير سكان هذى الأرض » فيـما علم وعلموا - أى بشهادة يحاول من خلال استخـدامه لصيـغة الجمع صبـغها بما يشبـه الإجماع - ولو نطق البلد - مخـبراً عما فـيه من السكان- لشهـد بما شهد لهم به ، ويعـود ليؤكد - فى آخرهـا - على صفتين أساسـيتين من صفاتهم - يبقيان ببقائهم ويفـقدان إن أصابتهم دائرة الفقد - التقى - مظنة الدين - والغنى ، وكلاهما مظنة للنفع .

وتضيق الدائرة قليلاً ؛ حـيث لا يكون الصراع - كما رأيت فيمـا مر - على الخلافة بين بنى أمية - أو بالأحرى بنى مروان الذين ينتمى إليـهم الأمير - وبين فروع أخرى من قريش ، أو حتى من غير قريش ، وإنما يـكون هذه المرة داخل هذا الفرع المروانى ، فمن يكون أحق بها إن رحل الخليفة القائم ؛ عبد العزيز ولى العهد - تنفيذاً لما أوصى به مروان - أم أحد أبناء عبد الملك ، كما أراد هذا الأخير بإيعاز من الحجاج ؟ ولن يكون غريباً بطبيعة الحال أن يقف شعراء البلاط خلف عبد العزيز ، مؤيدين له - بعضهم بشكل صريح كابن قيس الرقيات الذى تورط فى مسـألة ولاية العهد ، أو بشكل آخـر غير صـريح يعتمـد على الغمز والتـعريض فى إطار الموازنة بينه وبين الآخرين - ومدافعين عن حقه الذى لم يتنازل حتى الموت عنه .

١٥٩ - شعر الأحوص الأنصارى - ت . عادل سليمان جمال - ص ٩٥ ، ٩٦ .

فهو - فى مدح جميل له - « فتى قريش » و « كهلهم » حين تعد الكهول :

أبا مَــرْوانَ أنتَ فَــتَى قُــرَيْشٍ وكَــهْلُهُمُ إذا عُــدَّ الكُهُــول(١٦٠)

ثم يمضى فى تفصيل هذا التفضيل - الذى جاء على الإجمال - فإذا هو - كما يقول - لا يضيق ذرعاً ، ولا يبخل بما لديه حين توليه - ما عناها - العشيرة ، وإليه تشير الأصابع والأكف إذا ما أصابتهم داهية « أوغالهم أمر جليل» ، وكل ما يصدر عنه من فعل « حسن جميل» ، و « كـلا يوميه بالمعروف طلق » ، وليس هذا كله بعجيب ؛ فقد نما به فى الذؤابة من قريش أصل ثابت « يهتز فيه بأكرم منبت فرع طويل » .

وهو - فى مدح عبد الله بن الحجاج له - عريق الأب والخال - لا الأب فحسب - صاحب مجد مؤثل - وقد غمز غيره بالبخل وقلة العطاء - وجود فياض :

أَبَتْ لك يا عــبدَ العـزيزِ مــآثرٌ وجَــرْىٌ شَـأى جَــرْىَ الجِـيَــادِ وأَوَّلُ

أَبَى لك إذا أَكْـدَوْا وقلَّ عَـطاؤهم مَــواهبُ فَــيَّاضٍ ومَــجْــدٌ مُــؤَثَّلُ

أَبُوكَ الذى يُنْـمِيكَ مَرْوانُ لـلعُلَى وسَعْدُ الفَتَى بالخَالِ لا مَنْ يُخَوَّلُ(١٦١)

وهو - عند نصيب أو غيره - صاحب «منن غامرة» على قومه ؛ فبابه - و قد عَرَّضَ بغيره - « ألين أبوابهم» ، وداره - إذ لا ينقطع عنها الضيف ولا تخلو من طالب حاجة - «مأهولة عامرة » ، وكلبه - وقد اعتاد كثرة الزائرين والعواد - أشد أنساً بالفقراء « من الأم بابنتها الزائرة » وكفه أندى - حين ترى السائلين - من الليلة الماطرة(١٦٢) .

وعند أيمن بن خريم - قبل أن تسوء علاقته به بسبب نصيب ويرحل عنه إلى بشر بالعراق - من لا يعدل الناس - وفيها معنى العموم - به أميراً ، أى أمير ، فهو المفضل - إن كان لرأيهم وزناً - على الإطلاق :

لا يَرْهَبُ النَّاسُ إن يَعْــدِلُوا بعبدِ العزيزِ بنِ لَيْلَى أَمِيرا(١٦٣)

لكنه لا يلبث بعدها - وقد انقلب عليه - أن يعرض بما فيه من تشوه الوجه - بالنمش - والجلود ، ويذهب إلى أبعد من هذا - متورطاً هو الآخر فى مسألة ولاية العهد - حين يخاطب عبد الملك طالباً - فى قول مباشر صريح - أن يجعل الأمر من بعده لبشر أخيه بدلاً من عبد العزيز(١٦٤) .

١٦٠ - ديوان جميل - ت . د . حسين نصار - ص ١٦٨ .

١٦١ - شعراء أمويون - جـ١ ص ٣١٠ .

١٦٢ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٣٣ . الشعر و الشعراء جـ١ ص ٤١٢ . ديوان المعانى جـ١ ص ٣٣ . أمالى ابن دريد ص ٢٦٠ .

١٦٣ - ولاة مصر ص ٧٣ .

١٦٤ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٢٩ ، جـ٢٣ ص ٨٠١٠ . أمالى ابن دريد ص ٩٢ ، البرصان والعرجان ص ١٠٧ .

وفي الخبر أنه مر – حين وقع ما وقع بينه وبين عبد العزيز – بالشام فى طريقه إلى العراق « فلما جاز بعبد الملك بن مروان قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاك بشراً . قال : أتجوزنى؟! قال : إى والله ، أجوزك إلى من قَدِمَ إلىَّ وطلبنى . قال : فلم فارقت صاحبك ؟ قال : رأيتكم يا بنى مروان تتخذون للفتى من فتيانكم مؤدباً ، وشيخكم والله محتاج إلى خمسة مؤدبين . فسَرَّ ذلك عبدَ الملك ، وكان عازماً على أن يخلعه ويعقد لابنه الوليد »(١٦٥) .

ويقف ابن قيس – بإزاء هذا الموقف من أيمن ، وبإزاء موقف عبد الملك نفسه وقد حاول صرفها عن عبد العزيز ثم من بعده عن بنيه – موقفاً آخر ؛ فنراه يقول فى مدحه :

أَثْنِ على الطَّيِّبِ ابنِ لَيْلَى إذا ... أَثْنَيْتَ فى دِينِه وفى حَسَبِهْ
مَنْ يَصْدُقُ الوَعْدَ والقِتالَ ويَخْـ ... ـشَى اللهَ فى حِلْمِه وفى غَضَبِهْ
ومَنْ تُفِيضُ النَّدَى يَداهُ ومَنْ ... يَنْتَهِبُ الحَمْدَ عَندَ مُنْتَهَبِهْ
أُمُّكَ بَيْضاءُ من قُضاعَةَ فى الْـ ... ـبَيْتِ الذى يُسْتَظَلُّ فى طُنُبِهْ
وأنتَ فى الجَوْهَرِ المُهَذَّبِ من ... عبدِ مَنافٍ يَداكَ فى سَبَبِهْ
يَخْلُفُكَ البِيضُ من بَنِيكَ كما ... يَخْلُفُ عُودُ النُّضارِ فى شُعَبِهْ(١٦٦)

وفيها يذكر حسبه ودينه وتقواه ، وخشيته لله فى حالى الحلم والغضب ، وصدق الوعد، والجود ، وانتهاب الحمد ، وكرم الأصل – من جهتى الأب والأم على السواء – وفى هذا كله تأكيد – بطريق غير مباشر – على أفضليته وأحقيته فى تولى الخلافة بعد عبد الملك تنفيذاً لوصية أبيه ، ثم يصرح – فى البيت الأخير – ببقائها – وكأنها قد آلت بالفعل إليه –فى بنيه .

وقد أغضب هذا البيت الأخير – وفيه ما فيه من التصريح – عبد الملك ؛ فقيل إنه لما سمعه قال : « لقد دخل ابن قيس الرقيات مدخلاً ضيقاً » وتهدده وشتمه(١٦٧) .

وفى تقديمه لهذا البيت – مع أبيات أخرى جاءت بعده – يقول أبو الفرج – ملقياً بالضوء على الظروف والملابسات التى قيل ، مع غيره ، فيها –: « أراد عبد الملك بن مروان البيعة لابنه الوليد بعد عبد العزيز بن مروان ، وكتب إلى عبد العزيز يسأله ذلك ، فامتنع عليه ، وكتب إليه يقول له : لى ابن ليس ابنك أحبَّ إلىَّ منه ، فإن استطعت ألا يفرق بيننا الموت وأنت لى قاطع فافعل . فرقَّ له عبد الملك وكف عن ذلك ، فقال عبيد الله بن قيس الرقيات وكان عند عبد العزيز : . . . » ثم ذكر الأبيات . ويفهم من هذا أن مآل الخلافة – لو لم

---

١٦٥ – الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٣١ .

١٦٦ – ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات – ت . د . محمد يوسف نجم – ص ١٤ .

١٦٧ – الأغانى (ط . الشعب) جـ ١٨ ص ٦٥٨٢ .

يمت عبد العـزيز قبل أخيه - كان لأبنائه من بعـده ، وهو ما حاول عبد الملك - بأخذ البـيعة للوليد - إثناءه عنه .

وفى اندفاعة أخرى صريحة - لا تقل عن سابقتها - يقول ابن قيس :

يَلْتَـــفِتُ النَّـاسُ حَـــولَ مِنْبَـــرِهِ   إذا عَـــمُـودُ الـبَـرِيَّةِ انْـهَـدَمَـــا(١٦٨)

يعنى - كما جـاء فى « الأغانى » - « إذا مات عبد الملك ؛ لأن العهـد كان إليه بعده . قال الزبير : فـأخبرنى مصعب بن عثـمان قال : لما بلغ عبد الملك هذا البـيت أحفظه وقال : بفيه الحجر . وحينئذ قال : لقد دخل ابن قيس مدخلاً ضيقاً » (١٦٩).

ومع موته قبل أخـيه ، ووفاة الأصبغ ابنه بأيام قليلة قـبله ، وجدنا نصيبـاً مولاه يعرض -على الرغم من أن الموت كان طبـيعياً ، وقد سـبقه مرض طويل ، مما قد يدفع شـبهة تورط عبـدالملك فيـه - بكل من كـانت لهم مصلحـة فى موته - ولم يذكـر أحداً منهم علـى وجه التحديد - وكانوا يحبون له الردى والهلاك :

جَزَى خَيْرُ[مَـوْلى] مَوْلَيَيَّ ولا جَزَى   من النَّاسِ خَيْراً من أَحَبَّ رَداهُما(١٧٠)

وفيها قبله :

فـإنْ نُزِعا مِـصْـراً فبِـالجَـدِّ فارَقَـا   أحلَّ وخَـــلاً فـسْطهـــا وقُـراهُـمـا

والتعـبير بانتـزاع مصر منهـما قد يحـمل فى ذاته دلالة على وجود هذا التـعريض ، مع تسليمـنا بأن الموت قد يصح وصفـه بهذا الوصف - فـيكون هو النازع - لكن ذكر « مـصر » -دون سائر الأشياء المنتـزعة - فى هذا السياق ، قد يجعل الموت مـجرد فاعل ظاهر ، ويبقى الفاعل الحقيقى مستتراً - وهل يمكن لمثله أن يصرح به ؟ - خلف البناء للمجهول .

وفى مرثية سليمان بن أبان :

فـلا صَلُحَتْ مِصْـرُ لِحَيٍّ سِـواكُمـا   ولا سُقِيَتْ بالنِّيلِ بَعْدَكـما مِصرُ(١٧١)

فأى «حى» هذا الذى يعنى على وجـه التحديد ؟ أهم أصحاب المصـلحة - من قريب أو بعيد- أم الأحياء - وما للأحياء جميعاً والدعاء عليهم ؟ - على الإطلاق ؟!

ويشير ذو الشامـة إلى الشر الذى حاق بمصر - عقب موت عـبد العزيز - وقد لوحت به -على حد تعبيره - « يد موبقة» :

---

١٦٨ - ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات - ت . د . محمد يوسف نجم - ص ١٥٢ .

١٦٩ - الأغانى (ط . الشعب) جـ ١٨ ص ٦٥٨٥ .

١٧٠ - ولاة مصر ص ٧٩ .

١٧١ - ولاة مصر ص ٧٨ . أنساب الأشراف ص ١٨٤ .

فـإنْ تَكُ مـصْـرُ أشـارتْ بهـا ... إلى الشَّـرِّ يَـوْمـاً يَدٌ مُـوبقَـهْ
فـقـدْمـاً تَقـرُ بمصـرَ العُـيُـو ... نُ فى لَذَّةِ العَـيْشِ مُغْـدَوْدقَه(١٧٢)

لكنه كـذلك لم يحـدد لنا حقـيقـة هذه اليـد ، مؤثراً مـا آثره ذو الشـامة ونصـيب من التعريض، مكتفياً - وقد استخدم المجاز - بالإلماح عن التصريح .

ويمتد الظل السياسى ليشمل أموراً أخرى - غير الخلافة وولاية العهد - منها الصراع على السلطة مع الزبيريين ؛ وقد أشـار إليه - وإلى الزبيريين أنفسهم وتقلص قبضـتهم عن مصر - أحدهم فى قوله لعبد العزيز :

قَسَرْتَ الأُلى وَلَّوْا عن الأمْرِ بَعْدَما ... أرادُوا عليه فاعلمنَّ اقْتسارَكَا(١٧٣)

وفى مدح كثير له :

بَغـاكُـمْ رِجـالٌ عندَ كلِّ مُـلمَّـةٍ ... مُـعينٌ عليكـم مـا استـطاعَ وخـاذلُ
فـمـا زلتُمْ بالنَّاسِ حـتى كـأنَّهم ... من الخـوفِ طيرٌ أخْـذَأتْها الأجـادلُ
طعانٌ يَفُضُّ الجُذْلَ عن آنفِ الشَّبا ... وضَرْبٌ ببِـيضٍ أخْلَصَتْـها الصَّـياقلُ
لوامعَ يَخْطَـفنَ النُّفُـوسَ كـأنَّهـا ... مـصـابيحُ شـبَّتْ أو بُروقٌ عَـواملُ
إذا بُلَّتِ الخرصان صاحَتْ كُعُوبُها ... فلم تَـبْقَ إلا المارِناتُ الـذَّوابلُ(١٧٤)

وقد أشـار - فيمـا أشار - إلى صنفين - بإزاء بنى أمـية - من الناس ، وصفـهما مـعاً بالبغى؛ معين للخصوم - عند الفتن والملمات - مجـتهد فى إعانتهم بكل ما استطاع ، وخاذل عن نصرة الأمـويين ، وكيف وقف الأمويون - وهم أصـحاب السلطة - ينافـحون عن هؤلاء وأولئك بالرماح - وقد مضى فى ذكر القتال - والسيوف .

ويعود بنا ابن قيس إلى أحداث الحرة وما سبقها من إخراج أهل المدينة للأمويين ، واصفاً هذا الإخـراج - وقد انتـهى سلطان آل الزبير وآلَ أمـره هو نفسـه إلى استـرضاء الأمـويين - بالبغى، وقطيعة الرحم ، وتمزيق أواصر القربى وصلات الدم :

لَمَّا رَأوا بَـغْيَ قَـوْمِـهِمْ لـهمْ ... إذ قَطَعـوا من شَـوابِـكِ الرَّحِمِ
كـانتْ حُـصُوناً لـهم سُيُوفُـهمُ ... وكلُّ حامِى الحِفـاظِ مُسْتَلِمِ(١٧٥)

ويذكر كثيـر دور مروان بن الحكم فى لم شتات الأمويين - بعد مـوت يزيد بن معاوية -

---

١٧٢ - ولاة مصر ص ٧٨ . وجاءت « مصر » الأولى فيه منصوبة ، ولا أعرف وجهاً للنصب .

١٧٣ - المصدر نفسه ص ٦٦ . معجم البلدان جـ١ ص ٤١٤ .

١٧٤ - ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٢١٨ .

١٧٥ - ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات - ت . د . محمد يوسف نجم - ص ١٠ .

وتثبيت دعائم الملك ، وقد كاد يزول مع ازدياد نفوذ الزبيريين ، وانحصار قبضة بنى أمية عن الحجاز والعراق وأجزاء كثيرة من الشام واليمن ومصر ؛ فنراه يقول فى إحدى مدائحه لعبدالعزيز :

أبوكَ حَمَى أُمَيَّةَ حينَ زالتْ ... دَعائمُها وأصْحَرَ للضِّراب

وكانَ المُلْكُ قد وَهَنَتْ قِواهُ ... فَرَدَّ المُلْكَ منها فى النِّصاب(١٧٦)

ويلمح ابن قيس الرقيات – من خلال ذكره لكريب بن أبرهة بن الصباح (١٧٧) – إلى دور اليمنية بمصر فى مساندة الأمويين ، ومعلوم مدى اتكاء كثير من خلفاء بنى أمية عليهم فى تعضيد ملكهم ، من لدن معاوية بن أبى سفيان – فى صراعه ضد الإمام على – إلى مروان فعبد الملك رأسى البيت المروانى .

٤ – ولا يقل الأثر البيئى وضوحاً – فى شعر البلاط – عن الأثر السياسى ، وهو يدل – فيما يدل – على بدايات لا يصح – فيما يرى البحث – التغافل عنها – أو تجاوزها بحال – للشخصية المصرية فى الأدب العربى ، تلك الشخصية التى نبحث عنها عادة فى عصور متأخرة – كالفاطمى والأيوبى والمملوكى – دونما التفات إلى ما يمكن أن يعتبر بمثابة البذور – وهو ما تسعى هذه الفقرة لإثباته – أو الجذور .

فالبيئة حاضرة – ببعض عناصرها الطبيعية – فى ذكرهم للبلدان ؛ كـ « حلوان » فى قول ابن قيس :

سَقْياً لِحُلْوانَ ذى الكُرُومِ وما ... صَنَّفَ من تينه ومن عِنَبِهْ

نَخْلٌ مَواقيرُ بالفناء من الـ ... ـبَرْنِىِّ غُلْبٌ يَهْتَزُّ فى شَرَبَهْ

أَسْوَدُ سُكَّانُهُ الحَمامُ فما ... تَنْفَكُّ غِرْبانُهُ على رُطَبِهْ(١٧٨)

وفيها يشير إلى ما كانت تتمتع به تلك المدينة – التى بناها عبد العزيز بالقرب من الفسطاط – من خيرات تدل على ما كانت تتمتع به مصر من الخصب والنماء (١٧٩) ؛ فهذه

---

١٧٦ – ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٦٤ .

١٧٧ – ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات – ت . د . محمد يوسف نجم – ص ١٦ .

١٧٨ – المصدر نفسه ص ١٣ .

١٧٩ – وقد وصفها عمرو بن العاص رضى الله عنه بأنها « تربة سوداء ، وشجرة خضراء بين جبل أغبر ورمل أعفر ، قد اكتنفها معدن رفقها ، ومحط رزقها ، ما بين أسوان إلى منشأ البحر ، فى سح النهر ، مسيرة الراكب شهراً ، كأن ما بين جبلها ورملها بطن أقب ، وظهر أجب ، يخط فيه نهر مبارك الغدوات ، ميمون البركات ، يسيل بالذهب . . . فبينما هى مدرة سوداء إذا هى لجة زرقاء ، ثم غوطة خضراء ، ثم ديباجة رقشاء ، ثم فضة بيضاء ، فتبارك الله أحسن الخالقين » فضائل مصر المحروسة ص ٤٢ ، ٤٣ .

أشجار تين قد صنفت أوراقها ، وتلك أعناب تتدلى - فى سخاء - عناقيدها ، والنخل كثير السعف من البرنى - وهو من أجود أنواع التمور - والرطب الأسود ، يهتز فى أحواضه ، والطير - وقد خص بالذكر الحمام والغربان لكثرتهما فى مصر - قد اتخذها - لما وجده فيها من الأمان - مسكناً ؛ فالرزق مكفول بها ،والعيش وادع هنىء .

والمعالم ؛ كـ « الكريون » - وهو على ما ذكر ابن السكيت نهر صغير يستمد من النيل - و« النيل » نفسه فى قوله :

غَدَوا من دَوْرَجِ الكَرْيو ... نِ حيثُ سَفينُهم حِزَقُ
كما يَغْدُو نَشاصٌ من ... سَحابِ الصَّيفِ مُنْطَلِقُ
فلما أنْ عَلَوْنَ النِّيـ ... ـلَ والرَّاياتُ تَخْتَفِقُ
رأيتُ الجَوْهَرَ الحَكَمِيَّ والدِّيباجَ يَأْتَلِقُ
وخَزَّ السُّوسِ والإضْرِيـ ... ـجَ فَصَّلَ بَيْنَهُ السَّرَقُ
وخَمْلَ الأُرْجُوانِ على السَّفِين كأنَّه العَلَقُ
سفائنُ غيرُ مُقْلَعَةٍ ... إلى حُلْوانَ تَسْتَبِقُ
مَحَلٌّ قد نَحُلُّ بِهِ ... لَذيذٌ عَيْشُهُ غَدِقُ[180]

وفيها يصف رحلة عبد العزيز - وقد اصطحب معه وجوه الناس من الأشراف والشعراء - إلى الإسكندرية - خرجته الثالثة سنة إحدى وثمانين - عن طريق النهر ، فبرزت من ثم السفن - عنصراً من عناصر البيئة المصرية التى يشقها النيل ويحيط بها البحر من الشرق والشمال - وازدانت بها اللوحة وهى تشق العباب مستبقة - وليس عليها ، كما فسر الشارح قوله « غير مقلعة » ، قلوع أو شراع - نحو حلوان فى طريق عودتها ، ولم ينس - أثناء الوصف - أن يذكر السحب والرايات ، وأن يؤكد - فى آخرها - على طيب المقام - فى تلك البلدة التى حباها الله بالنعيم والرخاء - ولذيذ العيش .

و« المقطم»[181] - وهو جبل قرب الفسطاط مشرف على مقبرتها - و« الحوف»[182] - وهما حوفان متصلان ؛ أحدهما شرقى أوله من جهة الشام ، والآخر غربى ويقع قرب

---

١٨٠ - ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات - ت . د . محمد يوسف نجم - ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

١٨١ - ديوان جميل - ت . د . حسين نصار - ص ١٤٧ . ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٣٠٦ . الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٢٩ . أمالى ابن دريد ص ٩٢ : البرصان والعرجان ص ١٠٧ .

١٨٢ - ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ١٤٤ . الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٢٧ . أمالى ابن دريد ص ٩١ .

دمياط، ويشتملان على كثير من القرى والبلدان - ويتردد فى ثنايا شعرهم - ذكر «مصر»[١٨٣]، و«بابليون»[١٨٤]، و«عين شمس»[١٨٥]، و«البويب»[١٨٦]، و«سكر»[١٨٧]، و«حلوان»[١٨٨].

وتمتاح الصورة - فى بعض الأحيان - من البيئة ومعالمها، وبخاصة النيل؛ فهو - وقد امتلأ بالماء حتى يغمر القرى بفيضانه، حاملاً الطمى بمده العالى، طائحاً بالفلك على ضفافه وجنباته - أقل سيباً - فى مخيلة كثير - من عبد العزيز، بل أقل - بكل فيضانه - من بعض أياديه:

إليكَ فليسَ النِّيلُ أصْبَحَ غادياً ... بذى حُبُك يَعْلُو القُرَى مُتَسَنِّم
بطامٍ يَكُبُّ الفُلْكَ حولَ جَنابِه ... لأذْقانه مُعْلَولِبَ المَدِّ يرتمى
بأفْضَلَ سَيْباً منكَ بل ليسَ كُلُّهُ ... كبَعْضِ أيادى سَيْبِكَ المُتَقَسَّمِ[١٨٩]

ولو كان ينقصه - عند الأحوص - ما يفيض به على أهل مصر، لنفد عطاء عبد العزيز، وقل - وهو من المستحيل - الجود منه:

---

١٨٣ - ديوان جميل - ت . د . حسين نصار - ص ٣٥ ، ٦٢ ، ١٨٤ . ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات - ت . د . محمد يوسف نجم - ص ١٣ . ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٦١ . الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٢٧ ، ٣٥٢ . ولاة مصر ص ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ .

١٨٤ - ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات - ت . د . محمد يوسف نجم - ص ١٥٢ . ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٧٤ .

١٨٥ - ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٩٧ .

١٨٦ - شعر الأحوص الأنصارى - ت . عادل سليمان جمال - ص ٨٦ .

١٨٧ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٦٠ .

١٨٨ - شعر الأحوص الأنصارى - ت . عادل سليمان جمال - ص ٩٣ . ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ت . د . محمد يوسف نجم - ص ١٢ ، ١٣ ، ١٥٩ . ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ١٤٤، ٢١٥ .

١٨٩ - ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ . ولكثير أيضاً (ديوانه ص ٦٢ ، ٦٣) :

فليسَ النِّيلُ حينَ عَلَتْ قَراهُ ... غَوالِبُهُ بأغلبَ ذى عُبابِ
بأفضلَ نائلاً منه إذا ما ... تَسامَى الماءُ فانْغَمَسَ الرَّوابى
ويَغْمُرُنا إذا نحن التَقَيْنا ... بطامِى المَوْجِ مُضْطَرِبِ الحبابِ
ويَضْرِبُ من نَوالِكَ فى بلادٍ ... من المعروفِ واسِعَةٍ رِحابِ

لو كــــانَ يَنْقُـصُ مــاءَ الـنِّيلِ نائـلُهُ   أَمْسَى وقــد حانَ من جَمَّــاتِه نَفَدُ(١٩٠)

ويمتزج الطرفان - لدى نصيب - فإذا بعبد العزيز نيل آخر ، حبا به الله آل مصر ، إلى جانب نيلها العظيم :

فــبَشِّــرْ أَهْلَ مِـصْـرَ فـقـد أتاهُمْ   مع النِّيلِ الذى فى مِـصْرَ نِيلُ(١٩١)

وتطل - على استحياء - موضوعات جديدة ؛ كأن يعكف بعضهم على وصف صنم أو تمثال - ومصر ملأى بالآثار - كما فعل كريب بن مخلد الجيشانى ، وهو يتحدث عن حمَّام زبان بن عبد العزيز ؛ وفيه يقول :

مَنْ كـانَ فى نَفْسِـه للبِيض مَنْزِلَةٌ   فلْيَــأْتِ أَبْيَضَ فى حَـمَّــامِ زَبَّانِ
[عَبْلٌ لَطِيفٌ هَضِيمُ الكَشْحِ مُـعْتَدِلٌ   على تَـرائبِه فـى الصَّـدْرِ ثَدْيانِ]
لا رُوحَ فـيــه ولا شُـفْرٌ يُقَـلِّبُـهُ   لكنَّهُ صَـنَمٌ فى خَلْقِ إنْســانِ(١٩٢)

وكان هذا التمثال على هيئة امرأة ، ثم كسر - فيما كسر من الأصنام والتماثيل - على عهد يزيد بن عبد الملك سنة اثنتين ومئة (١٩٣) ، بعد أعوام قليلة من رحيل عبد العزيز .

ويعكف كثير - وهو من الموضوعات الطريفة - على وصف حذاء الأمير فى تلك البيئة المترفة ؛ فإذا به - ولعله قد استمد روح الدعابة من مخالطته للمصريين - « رهيف الشراك » ، سهل القصد ، رقيق من مخصره إلى طرفه ، لا يحتاج - لخفته ورقته - إلى خلعه - أو ربما فى تفسير آخر للبيت ، لا يتعهده ؛ لكثرة ما لديه من النعال - بخصف أو صبغ - وإن طرحه لم تجلب ريحه الكلاب - كما تجلب ريح بعض النعال - وإن وضعه فى مجلس القوم شُمَّتْ له رائحة طيبة لا ينفر منها الإنسان . يقول كثير :

رَهِيفُ الشِّـراكِ سَـهْلَةُ المُتَـسَـمَّتِ   مُـقَـارِبُ خَطْوٍ لا يُغَـيِّـرُ نَـعْلَهُ
وإنْ وُضِعَتْ فى مَجْلِسِ القَوْمِ شُمَّتِ(١٩٤)   إذا طُرِحَتْ لم تَطَّبِ الكَلْبَ رِيحُهـا

وفرق كبير بين هذين النعلين الرقيقين - الدالين على بيئة مترفة كما ذكرت - ونعلى الشنفرى اللذين طرحهما - وفيهما ما فيهما من كثرة الخصف والقطع - غير آسف عليهما ، ولا آسٍ لفراقهما فوق ظهر أحد الجبال، وآثر على ارتدائهما - كأكثر أهل بيئته - الحفاء(١٩٥) .

---

١٩٠ - شعر الأحوص الأنصارى - ت . عادل سليمان جمال - ص ٩٧ .

١٩١ - الأغانى (ط . الشعب) جـ١ ص ٣٥٢ . ونجد فى شعر كثير ذكراً لـ « السوابغ الفرعونية » . ديوانه (ط . عدنان درويش) ص ١٩٥ .

١٩٢ - فتوح مصر والمغرب ص ١٤٠ . أورد البيتين الأول والثالث ، ونص على أنهما من أبيات ، فأضفت البيت الثانى عن « ولاة مصر » ص ٩٣ .

١٩٣ - فتوح مصر والمغرب ص ١٤١ .

١٩٤ - ديوان كثير عزة (ط . عدنان درويش) ص ٧٢ ، ٧٣ . وقد ذكر الجاحظ هذين البيتين - مع ثالث قبلهما - فى البيان والتبيين جـ٣ ص ١١٢ .

١٩٥ - شعر الشنفرى الأزدى - صنعة عبد العزيز الميمنى (نشره فى كتابه : الطرائف الأدبية) (لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٣٧م) ص ٣٧ .

مصادر البحث ومراجعه

أولاً : المصادر (المخطوطة والمطبوعة) :

١ - **الأخبار الطوال** لأبى حنيفة أحمد بن داود الدينورى - ت . عبد المنعم عامر - مراجعة د . جمال الدين الشيال - مكتبة المثنى - بغداد - بدون تاريخ .

٢ - **إخبار العلماء بأخبار الحكماء** لجمال الدين على بن يوسف القفطى - تصحيح السيد محمد أمين الخانجى - مطبعة السعادة - القاهرة سنة ١٣٢٦هـ .

٣ - **الاستيعاب فى معرفة الأصحاب** لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر - ت . على محمد البجاوى - دار الجيل - بيروت سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

٤ - **أسد الغابة فى معرفة الصحابة** لأبى الحسن على بن محمد الجزرى المعروف بعز الدين بن الأثير - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .

٥ - **الإصابة فى تمييز الصحابة** لابن حجر العسقلانى - ت . عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

٦ - **الأغانى** لأبى الفرج على بن الحسين بن محمد الأصفهانى - ت . إبراهيم الإبيارى - دار الشعب - القاهرة سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م .

٧ - **الأمالى** لأبى عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبى محمد يحيى بن المبارك اليزيدى - عالم الكتب(بيروت) ومكتبة المتنبى (القاهرة) - بدون تاريخ .

٨ - **الأمالى** لأبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى (ومعه الذيل والتنبيه) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٧٥م .

٩ - **أنساب الأشراف** لأحمد بن يحيى المعروف بالبلاذرى - الجزء الأول ت . د . محمد حميد الله - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٧م / القسم الثانى من الجزء الرابع ت . ماكس شلوسنجر - القدس سنة ١٩٣٨م / الخامس ت . غويتاين - القدس سنة ١٩٣٦م / الحادى عشر - غريغزولد سنة ١٨٨٣م .
وسائر الأجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٠٣ تاريخ .

١٠ - **بدائع الزهور فى وقائع الدهور** لابن إياس - ت . محمد مصطفى - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة سنة ١٩٧٥م .

١١ - **البداية والنهاية** لعماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير - ت . محمد عبد العزيز النجار - دار الغد العربى - القاهرة سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م .

١٢ - **البيان والتبيين** لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - ت . د . عبد السلام محمد هارون - ط ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - بدون تاريخ .

١٣ - **تاريخ ابن خلدون** المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر - ت . خليل شحادة - مراجعة سهيل زكار - ط١ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

١٤ - **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى - دار الغد العربى - القاهرة سنة ١٩٩٦م .

١٥ - **تاريخ الخلفاء** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى - ت . محمد محيى الدين عبد الحميد - ط٤ المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م .

١٦ - **تاريخ دمشق** لابن عساكر (على بن الحسن بن هبة الله) - روضة الشام - دمشق سنة ١٣٣٢هـ .

١٧ - **تاريخ الرسل والملوك** لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - ت . د . محمد أبو الفضل إبراهيم - ط ٤ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٩م .

١٨ - **التاريخ الكبير** لمحمد بن إسماعيل البخارى - ت . عبد الرحمن المعلمى - جمعية دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦٠هـ .

١٩ - **تاريخ اليعقوبى** - أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الإخبارى - المكتبة المرتضوية - النجف سنة ١٣٥٨هـ .

٢٠ - **التبيين فى أنساب القرشيين** لأبى محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسى - ت . محمد نايف الديلمى - مكتبة النهضة العربية - بيروت سنة ١٩٨٩م .

٢١ - **التعليقات والنوادر** لأبى على هارون بن زكريا الهجرى - ت . د . حمود عبد الأمير الحماد - ط ٢ - دار الشئون الثقافية العامة «آفاق عربية» - بغداد سنة ١٩٨٧م .

٢٢ - **تعليق من أمالى ابن دريد** - ت . د . السيد مصطفى السنوسى - ط٢ - مكتبة الآداب - القاهرة سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .

٢٣ - **التنبيه والإشراف** للمسعودى - عنى بتصحيحه ومراجعته عبد الله إسماعيل الصاوى - دار الصاوى للطبع والنشر والتأليف - القاهرة سنة ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م .

٢٤ - **جمهرة أنساب العرب** لابن حزم - ت . د . عبد السلام محمد هارون - ط٣ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٣٩١هـ ١٩٧١م .

٢٥ - **حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة** لجلال الدين السيوطى - ت . د . محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة سنة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م . والنسخة المخطوطة بالزاوية الحمزاوية تحت رقم ٧٠ .

٢٦ - **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** لعبد القادر بن عمر البغدادى - ت . د . عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجى - القاهرة - بدون تاريخ .

٢٧ - **در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى - ت . د . حمزة النشرتى ، عبد الحفيظ فرغلى ، د . عبد الحميد مصطفى - المكتبة القيمة - القاهرة - بدون تاريخ .

٢٨ - **ديوان جميل** - جمعه وحققه د . حسين نصار - مكتبة مصر - القاهرة سنة ١٩٧٩م .

٢٩ - **ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات** - ت . د . محمد يوسف نجم - دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع ودار بيروت للطباعة والنشر - بيروت سنة ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م .

٣٠ - **ديوان كثير عزة** - جمعه وشرحه د . إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت سنة ١٣٩١هـ ١٩٧١م .

٣١ - **ديوان كثير عزة** - نشر : عدنان زكى درويش - ط ١ - دار صادر - بيروت سنة ١٩٩٤م .

٣٢ - **ديوان المعانى** لأبى هلال العسكرى - دار الجيل - بيروت - بدون تاريخ .

٣٣ - **ديوان الهذليين** - القسم الأول ت . أحمد الزين ، والقسمان الثانى والثالث ت . محمود أبو الوفا - ط ٢ - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٩٥م .

٣٤ - **رفع الإصر عن قضاة مصر** لابن حجر العسقلانى - ت . د . حامد عبد المجيد - المطبعة الأميرية - القاهرة سنة ١٩٥٧م .

٣٥ - **الروض المعطار فى خبر الأقطار** لأبى عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميرى - ت . د . إحسان عباس - ط ٢ - مكتبة لبنان - بيروت سنة ١٩٨٠م .

٣٦ - **زهر الآداب وثمر الألباب** لأبى إسحق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى - ت . على محمد البجاوى - ط١ - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة سنة ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م .

٣٧ - **سمط اللآلى** - نسخه وصححه ونقحه وحقق ما فيه واستخرجه من بطون دواوين العلم عبد العزيز الميمنى - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٣٥٤هـ ١٩٣٦م .

٣٨ - **سير أعلام النبلاء** لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى - حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط - ط٧ - مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

٣٩ - **شذرات الذهب فى أخبار من ذهب** لابن العماد الحنبلى -ط١ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

٤٠ - **شرح أشعار الهذليين** - صنعة أبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى - ت . عبد الستار أحمد فراج - مراجعة محمود محمد شاكر - مكتبة دار العروبة - القاهرة - بدون تاريخ .

٤١ - **شعراء أمويون** - جمعه وحققه د . نورى حمودى القيسى - المجمع العلمى العراقى - بغداد سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

٤٢ - **شعر الأحوص الأنصارى** - جمعه وحققه عادل سليمان جمل - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة سنة ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م .
٤٣ - **شعر نصيب بن رباح** - جمعه وقدم له د . داود سلوم - مكتبة الأندلس - بغداد سنة ١٩٦٨م .
٤٤ - **الشعر والشعراء لابن قتيبة** - ت . أحمد محمد شاكر - دار الحديث - القاهرة سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٤٥ - **صبح الأعشى فى صناعة الإنشا** لأبى العباس أحمد بن على القلقشندى - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٦٣م .
٤٦ - **طبقات فحول الشعراء** لمحمد بن سلام الجمحى - ت . محمود محمد شاكر - دار المدنى - جدة سنة ١٩٧٤م .
٤٧ - **الطبقات الكبرى** لمحمد بن سعد - ت . د . حمزة النشرتى ، عبد الحفيظ فرغلى ، د . عبد الحميد مصطفى - المكتبة القيمة - القاهرة سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .
٤٨ - **العقد الفريد** لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى - ت . محمد سعيد العريان - دار الفكر - بيروت سنة ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م .
٤٩ - **العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده** لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى - ت . محمد محيى الدين عبد الحميد - ط٥ - دار الجيل - بيروت سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م .
٥٠ - **عيار الشعر** لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوى - ت . د . محمد زغلول سلام - منشأة المعارف - الإسكندرية سنة ١٩٨٠م .
٥١ - **عيون الأخبار** لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى -ط٢ - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٩٦م .
٥٢ - **الفاخر** لأبى طالب المفضل بن سلمة بن عاصم - ت . عبد العليم الطحاوى - مراجعة محمد على النجار - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٧٤م .
٥٣ - **الفاضل** لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد - ت . عبد العزيز الميمنى -ط٢- دار الكتب المصرية - القاهرة سنة١٩٩٥م .
٥٤ - **فتوح البلدان** لأبى الحسن أحمد بن يحيى البلاذرى - مراجعة رضوان محمد رضوان - دار الهلال ومكتبتها - بيروت سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .
٥٥ - **فتوح مصر والمغرب** لابن عبد الحكم - ت . د . على محمد عمر - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
٥٦ - **الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة** لابن ظهيرة - دار الكتب المصرية - القاهرة - سنة ١٩٦٩م.
٥٧ - **فضائل مصر المحروسة** لعمر بن محمد بن يوسف الكندى - ت . د . على محمد عمر - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٩٧م .
٥٨ - **الكامل** لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد - ت . د . محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة - دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة - بدون تاريخ .
٥٩ - **الكامل فى التاريخ** لأبى الحسن على بن محمد الجزرى المعروف بعز الدين بن الأثير - ت . عبد الله القاضى - ط٢ - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
٦٠ - **لسان العرب** لأبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصرى - ت . عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلى - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٩م .
٦١ - **المحبر** لأبى جعفر محمد بن حبيب - ت . د . إيلزة ليختن شتيتر - جمعية دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦١هـ ١٩٤٢م .
٦٢ - **مختصر تاريخ مصر** لابن زولاق - (مخطوط) بمكتبة الأزهر تحت رقم ٢٧١٧ تاريخ .
٦٣ - **مروج الذهب ومعادن الجوهر** لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى - ت . محمد محيى الدين عبد الحميد - ط٤ - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م .
٦٤ - **مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار** لابن فضل الله العمرى - ت . أيمن فؤاد سيد - المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية - القاهرة سنة ١٩٨٥م .

٦٥ – **المستطرف فى كل فن مستظرف** لشهاب الدين محمد بن أحمد بن أبى الفتح الأبشيهى – شرحه ووضع هوامشه د . مفيد محمد قميحة – ط١ – دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .

٦٦ – **المعارف** لابن قتيبة – ت . د . ثروت عكاشة – ط ٢ – دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٦٩م .

٦٧ – **معجم الأدباء** لشهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى –ط٣ – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت سنة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م .

٦٨ – **معجم البلدان** لشهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى – ت . فريد عبد العزيز الجندى – دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٤١٠ هـ ١٩٩٠م . وطبعة دار صادر – بيروت – بدون تاريخ .

٦٩ – **معجم الشعراء** لأبى عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى – صححه وعلق عليه الدكتور ف . كرنكو – دار الجيل – بيروت سنة ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م . وطبعة أخرى ت . عبد الستار أحمد فراج – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة سنة ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م .

٧٠ – **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** لأبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى – ت . مصطفى السقا – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة سنة ١٣٧١هـ ١٩٥١م .

٧١ – **المقفى الكبير** لتقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزى – دار الغرب الإسلامى – بيروت سنة ١٩٩١ م .

٧٢ – **المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم** لابن الجوزى –ط١ – جمعية دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٨هـ .

٧٣ – **المنتقى من أخبار مصر** لابن ميسر تاج الدين محمد بن على – ت . أيمن فؤاد سيد – المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية – القاهرة – بدون تاريخ .

٧٤ – **من الضائع من معجم الشعراء للمرزبانى** – د . إبراهيم السامرائى – ط١ – مؤسسة الرسالة – بيروت سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

٧٥ – **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** لتقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزى – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – بدون تاريخ .

٧٦ – **المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم** لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى – صححه وعلق عليه الدكتور ف . كرنكو – دار الجيل – بيروت سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م .

٧٧ – **الموشح** لأبى عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى – ت . على محمد البجاوى – دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – بدون تاريخ .

٧٨ – **النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة** (القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب فى حلى المغرب) – ت . د . حسين نصار – دار الكتب – القاهرة سنة ١٩٧٠م .

٧٩ – **النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة** لجمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى – (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر – القاهرة سنة ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م .

٨٠ – **نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق** لأبى عبد الله محمد بن إدريس المعروف بالإدريسى – عالم الكتب – بيروت سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م .

٨١ – **نسب قريش** لأبى عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيرى – ت . ليفى بروفنسال – ط٣ – دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٨٢م .

٨٢ – **نقد الشعر** لقدامة بن جعفر – ت . كمال مصطفى –ط٣– مكتبة الخانجى – القاهرة سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

٨٣ – **نهاية الأرب فى فنون الأدب** لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر – القاهرة سنة ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م .

٨٤ – **الوافى بالوفيات** لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى – نشر : ريتر – استنبول سنة ١٩٣١م .

٨٥ – **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** لأبى العباس شمس الدين أحمد بن أبى بكر بن خلكان – ت . د . إحسان عباس – دار صادر – بيروت سنة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م .

٨٦ – **ولاة مصر** لمحمد بن يوسف الكندى – ت . د . حسين نصار – دار صادر – بيروت – بدون تاريخ .

ثانياً : المراجع (عربية ومترجمة) :

١ - **الأدب الأموى صور رائعة من البيان العربى** - د . إبراهيم على أبو الخشب - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٧٧م .

٢ - **الأدب العربى فى مصر من الفتح الإسلامى إلى الفاطميين** - د . عبد الرزاق حميدة - القاهرة سنة ١٩٥١م .

٣ - **الأدب العربى فى مصر من الفتح الإسلامى إلى نهاية العصر الأيوبى** - محمود مصطفى - القاهرة سنة ١٩٥٧م .

٤ - **أدبنا فى عصر الولاة (مصر)** - د . محمد كامل حسين - دار الفكر العربى - القاهرة - بدون تاريخ .

٥ - **الأسس النفسية للإبداع فى الشعر خاصة** - د . مصطفى سويف - ط١ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٥١م .

٦ - **الأعلام** - خير الدين الزركلى - ط٩- دار العلم للملايين - بيروت سنة ١٩٩٠م .

٧ - **بناء لغة الشعر** - جون كوين - ت . د . أحمد درويش - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ١٩٩٠م .

٨ - **تاريخ الآداب العربية** - كارلو نالينو - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٥٤م .

٩ - **تاريخ آداب اللغة العربية** - جرجى زيدان - طبعة جديدة راجعها وعلق عليها د . شوقى ضيف - دار الهلال - القاهرة - بدون تاريخ .

١٠ - **تاريخ الأدب العربى** - ريجيس بلاشير - ت . إبراهيم كيلانى - دار الفكر - بيروت سنة ١٩٥٦م .

١١ - **تاريخ الأدب العربى** - كارل بروكلمان - ت . عبد الحليم النجار - ط٥ - - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٣م .

١٢ - **تاريخ الأدب العربى فى صدر الإسلام والعصر الأموى** - السباعى بيومى -ط٢ - القاهرة سنة ١٩٣٥م.

١٣ - **تاريخ الإسلام** - حسن إبراهيم حسن -ط٤- مكتبة النهضة المصرية - القاهرة سنة ١٩٥٨م .

١٤ -**التاريخ الإسلامى فى العصور الوسطى** - هاملتون جب - المركز العربى للكتاب - دمشق - بدون تاريخ.

١٥ - **تاريخ التراث العربى** - فؤاد سزكين - ت . د . محمود فهمى حجازى - إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - السعودية سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

١٦ - **تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية** - يوليوس فلهوزن - ت . محمد عبد الهادى أبو ريدة - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٥٨م .

١٧ - **تاريخ الشعر السياسى إلى منتصف القرن الثانى** - د . أحمد الشايب - ط٥ - دار القلم - بيروت سنة ١٩٦٧م .

١٨ - **تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى** - د . نجيب محمد البهبيتى - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٥٠م .

١٩ - **تاريخ الشعوب الإسلامية** - كارل بروكلمان - ت . نبيه فارس ، منير البعلبكى -ط٩ - دار العلم للملايين - بيروت سنة ١٩٨١م .

٢٠ - **تاريخ العرب و الشعوب الإسلامية** - كلود كاهن - ت . د . بدر الدين القاسم -ط٣ - دار الحقيقة - بيروت سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

٢١ - **تاريخ مصر السياسى والحضارى من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية** - د . سيدة إسماعيل كاشف - دار الفكر العربى - القاهرة سنة ١٩٤٧م .

٢٢ - **التطور والتجديد فى الشعر الأموى** - د . شوقى ضيف - ط٨ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٧م .

٢٣ - **حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ** - د . عبد الله التطاوى - دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٩٩٢ م .

٢٤ - **الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة** - د. محمد جمال الدين سرور - دار الفكر العربى - القاهرة سنة ١٩٦٠ م .

٢٥ - **الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربى حتى آخر الدولة الفاطمية** - د . محمد كامل حسين - القاهرة سنة ١٩٥٩ م .

٢٦ - **دراسات فى تاريخ مصر الإسلامية** - د . حسن على حسن ، د . عبد الله جمال الدين - دار الهانى - القاهرة سنة ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

٢٧ - **دراسة الأدب العربى** - د . مصطفى ناصف - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - بدون تاريخ .

٢٨ - **زمن النص** - د . جمال الدين الخضور - ط١ - دار الحصاد للنشر والتوزيع - دمشق سنة ١٩٩٥ م .

٢٩ - **الشخصية المصرية فى الأدبين الفاطمى والأموى** - د . أحمد سيد محمد -ط٢- دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٩٢م .

٣٠ - **الشعراء غير المستوطنين فى عهد عبد العزيز بن مروان** - د . إبراهيم الدسوقى جاد الرب - دار الفكر العربى - القاهرة سنة ١٩٨٧م .

٣١ - **شعراء مصر من الفتح الإسلامى إلى قيام الدولة الفاطمية** - محمد مصطفى الماحى ومحمد عبد المنعم خفاجى الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٨٠م .

٣٢ - **الشعر الأموى** - د . محمد فتوح أحمد - ط١ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٩١م.

٣٣ - **شعر البيئة المصرية حتى سنة ١٣٢هـ توثيق وإضافة وتحليل ورؤية جديدة** - د . إبراهيم الدسوقى جاد الرب - دار الفكر العربى - القاهرة سنة ١٩٩٢م .

٣٤ - **الشعر كيف نفهمه ونتذوقه** - اليزابث درو - ت . د . محمد إبراهيم الشوش - منشورات مكتبة منيمنة (بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين) - بيروت سنة ١٩٦١م .

٣٥ - **شعرنا القديم والنقد الجديد** - د . وهب أحمد رومية - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت سنة ١٤١٦هـ .

٣٦ - **الشعر والتجربة** - أرشيبالد مكليش - ت . سلمى الخضراء الجيوسى - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ١٩٩٦ م .

٣٧ - **الشعر و الغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية** - د . شوقى ضيف -ط٤- دار المعارف سنة ١٩٧٩م .

٣٨ - **الشعر واللغة** - د . لطفى عبد البديع - مكتبة نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٦٩م .

٣٩ - **الشعر والنغم** - د . رجاء عيد - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٩٧٥م .

٤٠ - **الصورة الأدبية** - د . مصطفى ناصف - مكتبة مصر - القاهرة سنة ١٩٥٨م .

٤١ - **الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغة** - د . جابر أحمد عصفور - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٠م .

٤٢ - **الصورة فى الشعر العربى حتى آخر القرن الثانى الهجرى دراسة فى أصولها وتطورها** - د . على البطل - ط٣ - دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت سنة ١٩٨٣ م .

٤٣ - **عبد العزيز بن مروان** - د . سيدة إسماعيل كاشف - سلسلة أعلام العرب - القاهرة سنة ١٩٦٧م .

٤٤ - **العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى** - د . إحسان النص - دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر - بيروت سنة ١٩٦٤م .

٤٥ - **العصر الإسلامى** - د . شوقى ضيف -ط٤- دار المعارف - القاهرة - بدون تاريخ .

٤٦ - **عضوية الموسيقى فى النص الشعرى** - د . عبد الفتاح صالح نافع - ط٢ - مكتبة المنار - الأردن سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٤٧ - **علم النص** - جوليا كريسطيفا - ت . فريد الزاهى - ط٢ - دار توبقال للنشر - الدار البيضاء سنة ١٩٩٧م .

٤٨ - **عواصم مصر الإسلامية** - حسن الرزاز - دار الشعب - القاهرة - بدون تاريخ .

٤٩ - **فتح العرب لمصر** - ألفرد بتلر - ت . محمد فريد أبو حديد - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٣٣م .

٥٠ - **فن الشعر** - د . إحسان عباس - ط٢ - دار الثقافة - بيروت سنة ١٩٥٩م .

٥١ - **الفن ومذاهبه فى الشعر العربى** - د . شوقى ضيف -ط١٠- دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٨م .

٥٢ - **فى الشعر الإسلامى والأموى** - د . عبد القادر القط - ط١ - دار اليقظة العربية للطباعة والنشر - بيروت سنة ١٩٧٥ م .

٥٣ - **القاموس الجغرافى للبلاد المصرية** - محمد رمزى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٩٣م .

٥٤ - **قضايا الشعر فى النقد العربى** - د . إبراهيم عبد الرحمن - مكتبة الشباب - القاهرة سنة ١٩٧٧م .
٥٥ - **قضايا النقد الأدبى المعاصر** - د . محمد زكى العشماوى - الهيئة المصرية العامة للكتاب بالإسكندرية - سنة ١٩٧٥م .
٥٦ - **لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية قبل الفتح العربى وبعده** - د . عبد المجيد عابدين - ط١ - مطبعة الشبكشى بالأزهر - القاهرة سنة ١٩٦٤م .
٥٧ - **المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول** - د . شكرى فيصل - ط٣ - دار العلم للملايين - بيروت سنة ١٩٧٣م .
٥٨ - **مداخل الشعر (باختين - لوتمان - كدندرانوف)** - ت . أمينة رشيد ، سيد البحراوى - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ١٩٩٦م .
٥٩ - **مدخل إلى مناهج النقد الأدبى** - مجموعة من الباحثين - ت . د . رضوان ظاظا - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت - سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .
٦٠ - **المدخل اللغوى فى نقد الشعر قراءة بنيوية** - د . مصطفى السعدنى - منشأة المعارف - الإسكندرية سنة ١٩٨٧م .
٦١ - **مصر الإسلامية** - د . إبراهيم أحمد العدوى - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة سنة ١٩٧٥م .
٦٢ - **مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية** - محمد عبد الله عنان - ط٢ - مكتبة الخانجى - القاهرة سنة ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م .
٦٣ - **مصر فى فجر الإسلام من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية** - د . سيدة إسماعيل كاشف - دار الفكر العربى - القاهرة سنة ١٩٤٧م .
٦٤ - **موسوعة تاريخ مصر** - أحمد حسين - دار الشعب - القاهرة سنة ١٩٧٨م .
٦٥ - **النزاع بين أفراد البيت الأموى ودوره فى سقوط الخلافة الأموية** - رياض عيسى - ط١ - دار حسان للطباعة والنشر - دمشق سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م .
٦٦ - **نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر** - ديفيد بشبندر - ت . عبد المقصود عبد الكريم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٩٦ م .
٦٧ - **نظرية التلقى (مقدمة نقدية)** - روبرت هولب - ت . د . عز الدين إسماعيل - ط١ - النادى الأدبى الثقافى - جده سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .
٦٨ - **نظرية الشعر** - حرره وقدم له محمد كامل الخطيب - منشورات وزارة الثقافة - دمشق سنة ١٩٩٦ م .
٦٩ - **نظرية اللغة الأدبية** - خوسيه ماريا بوثويلو إيفانكوس - ت . د . حامد أبو أحمد - مكتبة غريب - القاهرة سنة ١٩٩٢م .
٧٠ - **نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة** - د . أمجد الطرابلسى - ت . إدريس بلمليح - ط١ - دار توبقال للنشر - الدار البيضاء سنة ١٩٩٣م .

مراجع أجنبية :

1 - Boulton, M. : **The Anatomy of Poetry**, London, 1968 .
2 - Brett , R. L. : **Fancy and Imagination**, London , 1969 .
3 - Fast, H. : **Literature and Reality,** Bombay, 1968 .
4 - Hogarth D. G. : **Ahistory of Arabia**, Oxford, 1922 .
5 - Shipley, J. T. : **Trends in Literature**, New york, 1949 .
6 - Stanly Lane Poole : **Ahistory of Egypt in the Middle Ages,** London, 1901 .

دوريات :

- الأديب المعاصر (مجلة) - بغداد - عدد رقم ١٦ - مقال «الصورة الفنية» - ت . د . جابر عصفور .
- تاريخ الحضارة المصرية (مجلد) - مكتبة مصر - القاهرة - بدون تاريخ - مقال « تاريخ مصر من الفتح العربى إلى أن دخلها الفاطميون » - د . حسين مؤنس .


المحتوى

رقم الإيداع : ١٥١٥٧ / ٩٨

الترقيم الدولى : 3 - 254 - 241 - 977